الجزء (١)

الأمانة العامة
العزلة
المقدسة

المسيار التربوية

مرحلة الطفولة المتأخرة







فهم المرحلة وحسن التربية

الباحثة والمستشارة التربوية مياسة سرحان

قسم التوجيه والإرشاد الأسري | معهد الأسرة المسلمة

لمسات تربوية

كتاب: لمسات تربوية-الجزء الأول
المرحلة العمرية: مرحلة الطفولة المتأخرة
عنوان الجزء: فهم المرحلة وحسن التربية
تأليف: الباحثة والمستشارة التربوية مياسة شبع
إعداد وتصميـــم: مياسة شبع
عدد الصفحات: ٢٠١ صفحة
النـــاشر:
الطبعـــة:

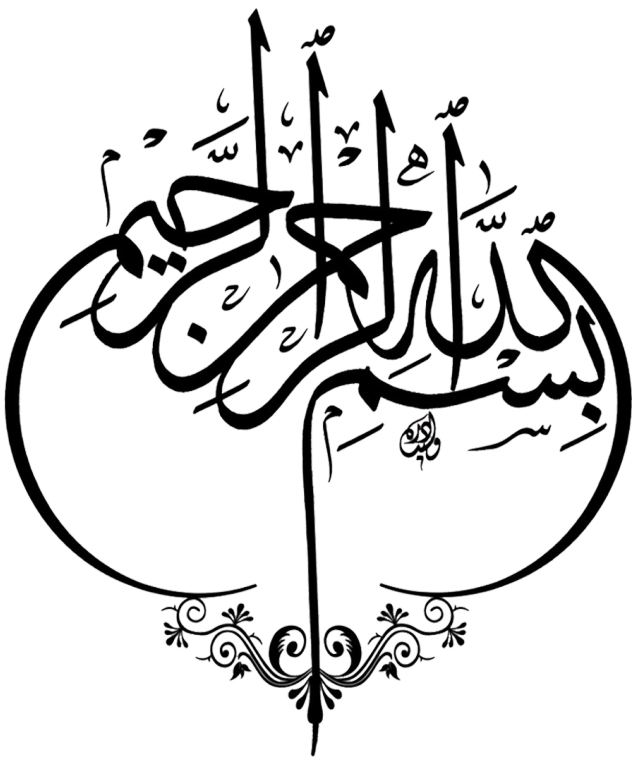
قسم التوجيه والإرشاد الأسري
counselingcenter2015@gmail.com ٠٠٩٦٤٧٨٠٠٢٦٢٤١٣ - ٠٠٩٦٤٧٧٦٣٦٩٥٠٨٠
معهد الأسرة المسلمة
familyinstitute2017@gmail.com ٠٠٩٦٤٧٨٢١٧٨٦٠٥٨ - ٠٠٩٦٤٧٧٣٣٣٣١٩٥٥

لمسات تربوية

مرحلة الطفولة المتأخرة

الجزء (١)

فَهْمُ الْمَرْحَلَةِ وَحُسْنُ التَّرْبِيَةِ


بسم الله الرحمن الرحيم

المسارات التربوية

الجزء (١)

فَهْمُ الْمَرْحَلَةِ وَحُسْنُ التَّرْبِيَةِ

فهرس المحتويات

المقدمة ٨

التمهيد: التربية التي نريدها لأولادنا ١٠

المدخل العام: التربية من المعرفة إلى التطبيق ١٢

المبحث الأول: مجالات التربية ١٣

المبحث الثاني: المهارات الحياتية ومكانها في التربية ١٧

المبحث الثالث: أساليب التربية التي نستعين بها ٢٢

المبحث الرابع: لماذا نحتاج إلى تعلم التربية؟ ٢٥

المبحث الخامس: دليل الإفادة من سلسلة «لمسات تربوية» ٢٩

الباب الأول: خصائص الطفولة المتأخرة ومتطلبات تربيتها ٣٣

الفصل الأول: الخصائص العقلية والمعرفية ٣٤

المبحث الأول: نمو الفهم والتفكير ٣٥

المبحث الثاني: التعلم وتنمية الذاكرة ٣٨

المبحث الثالث: تنمية مهارات التفكير ٤٢

الفصل الثاني: الخصائص النفسية والانفعالية ٤٦

المبحث الأول: الاستقلالية وإثبات الذات وصيانة الكرامة ٤٧

المبحث الثاني: قابلية الوجدان للتشكل ٥٠

المبحث الثالث: إشباع الحاجات النفسية الأساسية ٥٣

المبحث الرابع: إدارة الانفعالات وضبط الغضب ٥٧

الفصل الثالث: الخصائص الاجتماعية ٦١

المبحث الأول: اتساع الدائرة الاجتماعية ودخول المدرسة ٦٢
المبحث الثاني: الأقران واختيار الصاحب الصالح ٦٦
المبحث الثالث: القدوة الحسنة والمثل الأعلى ٦٩
المبحث الرابع: المتابعة التربوية وتنمية الرقابة الذاتية ٧٢

الفصل الرابع: الخصائص الجسمية والحركية ٧٦

المبحث الأول: النمو الجسمي واختلاف القدرات ٧٧
المبحث الثاني: النمو الحركي والحاجة إلى النشاط واللعب ٨٠
المبحث الثالث: الحاجات الصحية والسلامة ٨٤

الفصل الخامس: التمييز والبلوغ والتكليف ٨٨

المبحث الأول: معنى التمييز ومعايير معرفته ٨٩
المبحث الثاني: آثار التمييز في العبادة والتعامل والستر ٩٢
المبحث الثالث: معنى البلوغ وعلاماته الشرعية ٩٥
المبحث الرابع: معنى التكليف والتهيئة لتحمل مسؤوليته ٩٨

الباب الثاني: التأديب في مرحلة الطفولة المتأخرة ١٠٤

الفصل الأول: التأديب ومعناه وأهميته ١٠٦

المبحث الأول: مكانة التأديب في مرحلة الطفولة المتأخرة ١٠٧
المبحث الثاني: معنى التأديب وغايته ١١٠
المبحث الثالث: أهمية التأديب وجوانبه ١١٣
الفصل الثاني: العقوبة وضوابط استخدامها ١١٦
المبحث الأول: مفهوم العقوبة ونوعاها ١١٧
المبحث الثاني: ضوابط اختيار العقوبة وتطبيقها ١٢٠
المبحث الثالث: التدرج ومتابعة الاستجابة ١٢٤

الفصل الثالث: وسائل التأديب بالعقوبة ١٢٨
أولًا: أسلوب الحرمان المؤقت ١٢٩
ثانيًا: أسلوب إظهار عدم الرضا عن السلوك ١٣١
ثالثًا: أسلوب اللوم (التوبيخ والتأنيب) ١٣٥
رابعًا: أسلوب تحمُّل مسؤولية الخطأ وإصلاح آثاره ١٣٨
خامسًا: أسلوب فرض أعمال إضافية ١٤٢
سادسًا: أسلوب سحب المسؤوليات التشريفية الموكلة ١٤٤
سابعًا: أسلوب إشراك الناشئ في اختيار العقوبة ١٤٨
ثامنًا: أسلوب العقد التربوي (الاتفاق السلوكي) ١٥٤
تاسعًا: أسلوب إثابة المحسن والثناء عليه ١٥٨
عاشرًا: أسلوب الإنذار قبل العقوبة ١٦٤
حادي عشر: العقوبة البدنية ١٦٧
الفصل الرابع: العقوبة البدنية وحقوق الولد ١٦٩
المبحث الأول: روايات العقوبة البدنية وشروطها الخاصة ١٧٠
المبحث الثاني: حقوق الولد وأحكام الدية عند الإضرار به ١٧٤
الفصل الخامس: آثار التجاوز والتربية الوقائية ١٧٨
المبحث الأول: آثار تجاوز الضوابط الشرعية والتربوية ١٧٩
المبحث الثاني: التربية الوقائية وتنمية الرقابة الذاتية ١٨٢
تساؤلات تربوية ١٨٨
الخاتمة ١٩٠
الهوامش ١٩٢

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الأسوة الحسنة والنموذج السلوكي الأعلى في التربية، حبيبنا رسول الله محمد بن عبد الله، صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

لقد حاول علماء التربية قديمًا وحديثًا وضع مناهج شاملة لمراحل الطفولة والمراهقة، غير أنّ كثيرًا من المسلمين اتجهوا إلى مدارس الغرب التربوية، وفاتهم أنّ في الشريعة الإسلامية منهجًا متكاملًا غنيًا بالوصايا والتوجيهات. ففي سيرة النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وسيرة أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معينٌ لا ينضب من التعاليم القادرة على ترسيخ أروع القيم في نفوس الناشئة.[1]

وتأتي سلسلة «لمسات تربوية» بأجزائها المتتالية لتُعنى بتربية الناشئ وإعداده نفسيًا وعقليًا وسلوكيًا، مستندةً إلى القرآن الكريم وروايات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ومستفيدةً من الدراسات العلمية الحديثة. وهي موجَّهة إلى المربين والمؤسسات التعليمية والتربوية، وتخاطب كل من يتولى الرعاية والتعليم والتوجيه؛ من الوالدين والأقارب والمعلمين والمستشارين والمسؤولين عن الشأن التربوي.

وقد جاءت فكرة السلسلة تلبيةً لحاجتهم إلى مادة تربوية تجمع بين التأصيل النظري والتطبيقات العملية والأساليب المؤثرة؛ لتعين المربي على

أداء مسؤوليته بعلم وفهم، وتحويل المعرفة إلى ممارسة في الحياة اليومية.

وتمتاز هذه السلسلة بسهولة الصياغة وبساطتها، والاستعانة بالصور والرسوم التوضيحية، وتتناول مجالات تربوية متعددة، منها: التربية العقائدية، والعبادية، والأخلاقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والجنسية. كما تعرض أساليب تربوية في ضوء النصوص الدينية، وتقدم أمثلة وتمارين وأفكارًا عملية توضح كيفية الاستفادة منها، مع توثيق المعارف والنقول من مصادرها المعتبرة.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذه السلسلة المربين والباحثين، وأن يجعلها عونًا على حسن تربية الأبناء، والإسهام في بناء جيل مؤمن واعٍ، يتحلى بحسن الخلق، وينهض بمسؤوليته في أسرته ومجتمعه.

والحمد لله ربّ العالمين.

قسم التوجيه والإرشاد الأسري

معهد الأسرة المسلمة

التابع للعتبة الحسينية المقدسة

التمهيد: التربية التي نريدها لأولادنا

يتطلع كل مربٍّ إلى أن يرى ثمرة جهده صلاحًا ونجاحًا في حياة من يتولى تربيتهم، ولا سيما الوالدان؛ إذ يرجوان أن يكون أبناؤهما مصدر فخر واعتزاز، وأن تتحقق فيهم الآمال، وتشرق حياتهم بالصلاح والفلاح والنجاح. فصلاح الأبناء من أسباب سعادة الوالدين، وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[٢].

وقد عبّر نبي الله زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه الأمنية بدعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٣]، وكما يرجو الوالدان صلاح أبنائهما، فإنهما يتألمان من سلوك يسيء إليهما، ويجلب لهما العار والحزن؛ فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولد السوء يهدم الشرف، ويشين السلف»[٤].

غير أن هذه الأمنية تحتاج إلى عمل يرعاها؛ فصلاح الأبناء لا يتحقق بالأماني والدعاء وحدهما، بل يحتاج إلى تربية واعية ورعاية مستمرة، يتحمل فيها كل مربٍّ مسؤوليته، وللوالدين النصيب الأول من هذه المسؤولية؛ فأبناؤهما أمانة يُسألان عن حسن رعايتها وتربيتها. قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأما حق ولدك، فأن تعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته. فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»[٥].

وأداء هذه المسؤولية يحتاج إلى استعداد وتعلّم؛ فالرغبة في صلاح الأبناء ينبغي أن تصاحبها معرفة تعين على حسن تربيتهم. وهذا ما نلمسه في شؤون حياتنا؛ فمن أراد إتقان عمل اعتنى بتعلّمه، وتدرّب عليه، واستفاد من أهل الخبرة فيه.

فالطبيب يدرس ويتدرّب قبل أن يتولى علاج الناس، ومن يريد قيادة سيارة يتعلّم قواعد السير، ويتدرّب على القيادة قبل أن يعتمد على نفسه.

وقد يعرف السائق وجهته، لكنه يحتاج أيضًا إلى معرفة الطريق، وفهم الإشارات، وحسن التصرف عند المفاجآت. وإذا أخطأ، فقد يعرض نفسه وغيره للضرر؛ ولذلك لا تكفي الرغبة في الوصول دون استعداد يحسن به القيادة.

وكذلك المربي قد يعرف الغاية التي يريدها، فيقول: «أريد ولدًا صالحًا»، لكنه يحتاج إلى معرفة الطريق إليها: كيف يعلمه؟ وكيف يخاطبه؟ وماذا يناسب فهمه وقدرته؟ وكيف يتصرف إذا خاف أو غضب أو أخطأ؟

وتزداد أهمية هذا الاستعداد حين نتذكر أننا نربي إنسانًا له عقل ومشاعر وحاجات، ويتأثر بما يسمعه ويشاهده ويعيشه، وليس رجلًا آليًا ينفذ الأوامر بمجرد أن نقول له: «افعل» أو «لا تفعل». فهو يحتاج إلى من يفهمه، ويشرح له، ويصغي إليه، ويدربه ويعينه على العمل بالصواب. فإطعامه وكسوته وعلاجه من حقوقه الضرورية، وتحتاج تربيته أيضًا إلى الحوار والقدوة والمتابعة وحفظ الكرامة.

وهذه العناية مسؤولية كل من يتولى التربية، كلٌّ بحسب موقعه وصلاحياته؛ فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٦]. ومن هنا، فإن تعلّم التربية يعين المربي على فهم حاجات الولد، واختيار الأسلوب المناسب لتعليمه وتوجيهه.



المدخل العام:

التربية من المعرفة إلى التطبيق

تتناول سلسلة «لمسات تربوية» ثلاث مراحل عمرية: الطفولة المبكرة، والطفولة المتأخرة، والمراهقة والشباب. وبعد إتمام الأجزاء الخاصة بالسنوات السبع الأولى، ننتقل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة، التي تمتد من السابعة إلى الرابعة عشرة. ويأتي هذا الكتاب مدخلًا لفهم هذه المرحلة وحسن تربيتها، ونستهلّه بالتعريف بجملة من الأمور التي تعين المربي على الإفادة من السلسلة والانتقال من المعرفة إلى التطبيق، وذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مجالات التربية



تتناول التربية جوانب متعددة، يرتبط بعضها ببعض؛ فالعقيدة تعين على فهم العبادة، والعبادة تقوّي الصلة بالله وتعين على استقامة السلوك، والأخلاق تظهر في التعامل مع المال والأصدقاء، وتمتد العناية التربوية إلى جوانب أخرى من حياة الولد. وفيما يأتي تعريف مبسط بأبرز هذه المجالات، مع أمثلة توضحها:

◆ التربية العقائدية والإيمانية

هي تعريف الولد بأصول الاعتقاد، وتنمية ارتباطه بالله تعالى، بما يناسب فهمه.

ومن موضوعاتها: معرفة الله، والنبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد، ومحبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. وتتصل بها معاني الثقة بالله، وشكره، والتوكل عليه، والرجاء في رحمته.

مثال: نتحدث معه عن نعمة يعرفها، ثم نعلمه شكر الله عليها والمحافظة عليها.

◆ التربية العبادية

هي تعليم الولد العبادات وتدريبه عليها، وإعانته على أدائها بقصد التقرب إلى الله.

ومن موضوعاتها: الصلاة، والصوم، والحج، والدعاء، وقراءة القرآن، والصدقة، والخمس، والزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والعبادة بمعناها الواسع تشمل كل طاعة لله وامتثال لأوامره واجتناب لنواهيه بقصد التقرب إليه.

مثال: نعلمه الصلاة تعليما عمليا، ونشرح له معناها، ونتابع أداءه، ونساعده على تصحيح الخطأ.

◆ التربية الأخلاقية

هي تنمية الفضائل في نفس الولد وتدريبه على العمل بها، ومساعدته على الابتعاد عن الرذائل.

ومن قيمها: الصدق، والأمانة، والرحمة، والعدل، والتواضع، والصبر، والعفو.

مثال: إذا أخطأ وصدق في الإخبار، نقدر صدقه، ثم نعينه على إصلاح خطئه؛ ليتعلم أن الصدق يصاحبه تحمل المسؤولية.

◆ التربية الاجتماعية والأسرية

هي تعليمه حسن التعامل مع الآخرين وأداء الحقوق في الأسرة والمجتمع.

ومن موضوعاتها: بر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، واختيار الصديق، والتعاون، واحترام الآخرين، وآداب الحديث والزيارة.

مثال: ندربه على الاستماع إلى المتحدث، وانتظار دوره، وإبداء رأيه دون سخرية أو اعتداء.

◆ التربية الاقتصادية والمالية

هي تعليمه حسن التعامل مع المال والموارد، والكسب والإنفاق وفق الضوابط الشرعية.

ومن قيمها ومهاراتها: القناعة، والاعتدال، والادخار، وترتيب الاحتياجات، واحترام العمل، وحفظ أموال الآخرين.

مثال: نساعده على التخطيط لمصروفه، والتمييز بين ما يحتاج إليه وما يرغب فيه، ثم نراجع معه نتيجة اختياره.

◆ التربية الجنسية

هي توعية الطفل بما يناسب عمره وفهمه عن جسمه وخصوصيته، وتعليمه كيف يحمي نفسه من الإساءة الجنسية ويطلب المساعدة، وفق

التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية.

ومن موضوعاتها: العفة، وستر العورة، وآداب الاستئذان، واحترام خصوصية الجسد، والتعرف إلى تغيرات البلوغ، والحماية من التحرش.

مثال: تعليم الطفل أن يرفض لمس أعضائه الخاصة، وأن يخبر والديه أو شخصًا موثوقًا إذا تعرض لذلك، وألا يخاف أو يشعر بأنه مذنب.

◆ التربية الصحية

هي تعليمه العادات التي تحفظ صحته، وحسن التعامل مع الغذاء والنظافة والراحة.

ومن موضوعاتها: النظافة الشخصية، والاعتدال في الطعام، وتنظيم النوم، والعناية بالأسنان، وتجنب ما يضر بالصحة.

مثال: نعلمه عادة صحية بخطوات عملية، ونتابع اكتسابها، بدلا من الاكتفاء بتكرار الأمر بها.

◆ التربية الرياضية

هي تنمية قدراته البدنية والحركية من خلال أنشطة مناسبة وآمنة.

ومن موضوعاتها: النشاط المنتظم، وتعلم المهارات الحركية، والالتزام بقواعد السلامة، والتعاون أثناء اللعب، وتقبل الفوز والخسارة.

مثال: يتعلم في لعبة جماعية احترام الدور والقواعد، إلى جانب المهارة الحركية.

◆ التربية البيئية

هي تعليمه المحافظة على البيئة وحسن الانتفاع بمواردها.

ومن قيمها: تجنب التلوث، والمحافظة على الماء، والرفق بالحيوان، وحماية النبات، وصيانة الأماكن المشتركة.

مثال: يشارك في المحافظة على نظافة مكان استعمله، ويفهم أن الانتفاع به يصاحبه حفظ حق الآخرين فيه.

◆ التربية التجملية

هي تعويده النظافة وحسن الهيئة والتجمل المباح باعتدال.

ومن موضوعاتها: نظافة الملابس، وترتيب المظهر، ومراعاة الستر، وتجنب الإسراف والتفاخر.

مثال: نعلمه اختيار لباس نظيف ومناسب، دون ربط قيمته بثمن ملابسه أو إعجاب الناس بمظهره.

المبحث الثاني: المهارات الحياتية ومكانها في التربية



لا تقتصر التربية على تزويد الولد بالمعارف والقيم في المجالات التي تقدم ذكرها، كالتربية العقائدية والعبادية والأخلاقية وغيرها، بل تشمل أيضًا إعانته على اكتساب المهارات التي تمكّنه من تطبيق ما تعلمه في مواقف الحياة. فمعرفة أهمية الوقت تحتاج إلى مهارة تنظيمه، والرغبة في اختيار الصديق الصالح تحتاج إلى التفكير وحسن اتخاذ القرار.

والمهارات الحياتية هي قدرات يتعلمها الولد ويتدرب عليها؛ ليحسن التعامل مع نفسه والآخرين، وينظم شؤونه، ويواجه المشكلات والمواقف اليومية. وهي تتكامل مع مجالات التربية السابقة؛ إذ تساعده على تحويل القيم والمعارف إلى سلوك عملي.

وفيما يأتي أبرز مجموعاتها، مع المهارات والموضوعات التربوية المرتبطة بها، وأمثلة توضحها:

◆ مهارات التفكير واتخاذ القرار

تعينه على فهم المواقف، وفحص المعلومات، والنظر في الخيارات ونتائجها قبل التصرف.

ومنها: الملاحظة، والمقارنة، والتصنيف، والاستنتاج، والتفكير الناقد، والتفكير الإبداعي، وحل المشكلات، واتخاذ القرار.

مثال: إذا اختلف مع صديقه، نساعده على تحديد المشكلة، واقتراح حلول، وتوقع نتائجها، ثم اختيار الحل الأنسب.

◆ مهارات التعامل مع النفس والمشاعر

تعينه على فهم نفسه ومشاعره، والتعبير عنها بصورة سليمة، وضبط تصرفاته، والتعامل مع الصعوبات.

ومنها: معرفة قدراته ونقاط قوته، والتعبير عن المشاعر، وتهدئة النفس، وضبط الغضب، والتعامل مع الحزن والخوف والإحباط، ومراجعة الأفكار

السلبية، وتغيير العادات السيئة، وضبط الرغبات. وترتبط بها موضوعات الثقة بالنفس، وتقدير الذات، والتفاؤل، والأمان والطمأنينة.

مثال: إذا أخفق في مهمة وقال: «أنا لا أنجح في شيء»، نساعده على تهدئة نفسه، وتذكر ما يجيده، وفهم سبب الإخفاق، ووضع خطوة لتحسين أدائه؛ لتنمو ثقته بنفسه وقدرته على المحاولة.

◆ مهارات التواصل وبناء العلاقات

تعينه على فهم الآخرين، وإيصال أفكاره إليهم بوضوح واحترام، وبناء علاقات سليمة.

ومنها: الإصغاء، والحوار، وطرح الأسئلة، والتعبير عن الرأي، والإقناع، وتقديم النقد وتقبله، والتفاوض، والاعتذار، وحل الخلافات، وإصلاح ذات البين، وحسن اختيار الأصدقاء، وكيفية التعامل مع المتنمرين والمحبطين.

مثال: ندربه على الاستماع إلى رأي مخالف، ثم بيان رأيه ودليله دون مقاطعة أو سخرية.

◆ مهارات التعاون والعمل الجماعي

تعينه على المشاركة مع الآخرين في إنجاز عمل مشترك، مع أداء دوره واحترام أدوارهم.

ومنها: تحديد الهدف المشترك، وتوزيع المهام، والتشاور، وتنسيق الجهود، والالتزام بالمهمة، ومعالجة الخلاف داخل المجموعة. وتتصل بها المشاركة في الأعمال الخيرية والتطوعية.

مثال: يشارك في نشاط خيري، ويتفق مع زملائه على توزيع العمل، ثم ينجز الجزء الذي التزم به.

◆ مهارات إدارة الحياة والتخطيط

تعينه على تنظيم شؤونه، وتحديد أهدافه، ومتابعة إنجاز أعماله، وتحمل مسؤولية اختياراته.

ومنها: إدارة الوقت، وترتيب الأولويات، وضبط المهام، والتخطيط للمستقبل، وتنظيم المكان والأدوات، والالتزام بالمواعيد، ومتابعة العمل وتقويمه. وترتبط بها تنمية الاستقلالية، وتحمل المسؤولية، وعلو الهمة، وحسن استخدام الحرية.

مثال: يضع خطة أسبوعية تجمع بين الدراسة والعبادة والراحة، ثم يراجع ما أنجزه ويعدل خطته عند الحاجة.

◆ مهارات التعامل مع المال

تعينه على إدارة المال بوعي، واتخاذ القرارات المالية المناسبة وفق الضوابط الشرعية.

ومنها: إعداد الميزانية، والادخار، ومقارنة الأسعار والعروض، وتنظيم الفواتير، والتعامل الآمن مع الخدمات البنكية، وكشف الحيل المالية، والتخطيط لمشروع صغير. وتتصل بها القناعة، والاقتصاد، وتجنب الإسراف، واحترام العمل والكسب الحلال.

مثال: يقارن بين عرضين للشراء، ويحسب التكلفة الفعلية، ويتأكد من حاجته إلى السلعة قبل دفع المال.

◆ مهارات الحماية والسلامة والتعامل الرقمي

تعينه على التعرف إلى المخاطر، وحماية نفسه وخصوصيته، وطلب المساعدة عند الحاجة.

ومنها: رفض الضغط والاستدراج، والحماية من التحرش والابتزاز، والوقاية من التدخين والمخدرات والخمور. وفي التعامل مع الإنترنت

والأجهزة، يتعلم حماية معلوماته الشخصية، والتحقق من الرسائل والروابط، والإبلاغ عن الإساءة، وتنظيم وقت الاستخدام.

مثال: إذا طلب منه شخص صورة خاصة، يرفض الطلب، ويخبر بالغًا موثوقًا ليساعده على حماية نفسه.

◆ مهارات التعلم والعمل

تعينه على اكتساب المعرفة والخبرة، وتطوير أدائه في الدراسة والعمل.

ومنها: البحث عن المعلومة، وتلخيصها، والتعلم الذاتي، والتدرب على حرفة، واتباع خطوات العمل، والاستفادة من الملاحظات، ومراجعة الإنجاز وتصحيح الأخطاء. وترتبط بها تنمية حب القراءة، واكتشاف المواهب، والإتقان، والمثابرة على التعلم.

مثال: يتعلم عملًا يدويًا بسيطًا، ويتدرب على خطواته، ثم يفحص النتيجة ويصلح ما ظهر فيها من خلل.

المبحث الثالث: أساليب التربية التي نستعين بها



قد يعرف المربي ما يريد تعليمه لولده، لكنه يحتاج أيضًا إلى معرفة الطريقة المناسبة لإيصاله إليه؛ فحسن المقصد وحده لا يكفي إذا صاحبه أسلوب ينفّر الولد أو يعوق فهمه. وقد لا يحقق تكرار الأوامر ما يحققه حوار هادئ، أو قدوة عملية، أو تجربة يتعلم منها بنفسه. ومن هنا تأتي أهمية تنويع الأساليب، واختيار ما يناسب عمر الولد وحاجته والموقف الذي يمر به.

ونستعين في هذه السلسلة بأساليب تربوية متعددة، من أبرزها:

◆ التربية بالحوار

هي إشراك الولد في حديث متبادل يقوم على الإصغاء والسؤال والمناقشة؛ لفهم أفكاره، وتوضيح المعاني له، ومساعدته على الوصول إلى الصواب عن فهم واقتناع.

◆ التربية بالتجربة والخبرة

هي إتاحة مواقف عملية آمنة يشارك فيها الولد، ثم مساعدته على ملاحظة نتائجها واستخلاص ما يتعلمه منها. وقد نستعين خلالها بنموذج حسي يقرب المعنى؛ كأن يقيم خيمة صغيرة من قماش وعمود، ثم يلاحظ سقوطها بإزالة العمود، لتقريب معنى كون الصلاة عمود الدين.

◆ التربية باللعب

هي توظيف اللعب في تعليم الولد وتنمية قدراته وإكسابه القيم والمهارات، من خلال أنشطة ممتعة تناسب عمره وتتيح له المشاركة والتفاعل، سواء أكانت ألعابًا ميدانية أم إلكترونية هادفة، مع مراعاة السلامة وملاءمة المحتوى وتنظيم وقت اللعب.

◆ التربية بالقدوة

هي تقديم نموذج عملي للسلوك المرغوب، يراه الولد في أقوال المربي وأفعاله

ومعاملاته، فيتعلم منه ويقتدي به.

◆ التربية بالحب والرحمة

هي توجيه الولد وتعليمه من خلال علاقة تشعره بالمحبة والقبول والاحترام، ويظهر فيها الرفق بحاجاته وأخطائه، مع الحزم حين يحتاج إليه.

◆ التربية بالأدب والفن

هي توظيف القصة والشعر والنشيد والرسم وسائر الأشكال الأدبية والفنية المباحة لإيصال المعاني والقيم، والتأثير في مشاعر الولد وخياله وسلوكه.

◆ التربية بالترغيب والترهيب

هي تنمية رغبة الولد في السلوك الحسن ببيان منافعه وثوابه وتقدير جهده، وتنفيره من السلوك السيئ ببيان أضراره وعواقبه، بما يناسب فهمه.

◆ التربية بالعقوبة

هي اتخاذ إجراء تأديبي لمعالجة السلوك الخاطئ والحد من تكراره، ضمن ضوابطه الشرعية والتربوية، بقصد الإصلاح، مع حفظ كرامة الولد.

وتختلف فاعلية هذه الأساليب باختلاف الأولاد والمواقف؛ فقد يحتاج الموقف الواحد إلى الحوار والقدوة والتدريب والتشجيع معًا، ويختار المربي منها ما يعين على الفهم والإصلاح.[٧]

◆ ملاحظة: في الأجزاء اللاحقة، نجمع معظم هذه الأساليب في أنشطة وتمارين متكاملة؛ فقد يجتمع الحوار والتجربة واللعب والقصة والتشجيع في تمرين أو نشاط واحد، بحسب ما يخدم الموضوع. ونفرد التربية بالقدوة بعرض مستقل، أما التربية بالعقوبة فنكتفي عند الحاجة بالإشارة إلى عناوين وسائلها المناسبة، ونحيل في شرحها وضوابط استخدامها إلى باب التأديب في هذا الجزء؛ ليبقى مرجعًا للمربي، دون تكرار تفصيلاته في كل موضوع.

المبحث الرابع: لماذا نحتاج إلى تعلم التربية؟

قد يقول بعض المربين: «لم يدرس آباؤنا وأمهاتنا كتب التربية، ومع ذلك ربّونا؛ فلماذا نحتاج نحن إلى قراءة الكتب التربوية وتعلّم أساليبها؟ وإذا كانت هذه الكتب متوافرة اليوم بكثرة، فلماذا نلاحظ مع ذلك قصورًا في تربية بعض الأبناء؟».

الجواب:

من الإنصاف أن نقدر ما بذله أهلنا من محبة وتعب وتضحيات، وما علمونا إياه من الإيمان والأخلاق والمهارات النافعة. وقد تعلموا من الدين والقدوات وتجارب الحياة، وإن لم يدرسوا كتبًا متخصصة. ومع تقدير هذه الجهود، فإن حاجتنا إلى تعلم التربية تتضح من الأمور الآتية:

◆ احتمال النقص في بعض جوانب التربية

الخبرة في تربية الأولاد لا تعني الإلمام بجميع مجالات التربية وأساليبها؛ فقد يحسن المربي جانبًا، ويغفل عن جانب آخر يحتاج إليه ولده.

فقد تهتم أسرة بالتحصيل الدراسي، وتبذل جهدًا كبيرًا حتى يتخرج أولادها، لكنها لا تعتني بتعليمهم الصلاة وأحكام دينهم. ولا شك أن تحصيل العلم والتخصص مطلوب؛ فنحن نحتاج إلى الطبيب والمهندس والمعلم وغيرهم، لكننا نريدهم مؤمنين صالحين، يجمعون بين إتقان تخصصهم واستقامة دينهم وأخلاقهم، وينفعون الناس بعلمهم، لينالوا خير الدنيا والآخرة. وغاية حياتنا أوسع من نيل الشهادات؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[٨]

وقد تحرص أسرة على التربية الدينية، لكنها تغفل عن تعليم الخصوصية وحماية الجسد وطلب المساعدة، أو عن الوقاية من التدخين والمخدرات

ورفقة السوء. وقد تعتني بهذه الأمور، لكنها لا تدرب ولدها على مهارات يحتاج إليها، كضبط الغضب، وحل المشكلات، والتعبير عن الرأي بأدب، والثقة بقدرته على التعلم والمحاولة.

◆ الحاجة إلى تصحيح الأساليب التربوية وتنويعها

قد يكون الخلل في استخدام الأساليب التربوية؛ فقد اعتادت بعض الأسر الاعتماد على الضرب والشدة عند الخطأ، مع أن أساليب التربية متنوعة، كما أشرنا سابقًا. فمنها الحوار المقنع، والموعظة برفق، والقدوة الحسنة، والتشجيع، والتدريب والتجربة واللعب الهادف.

ويحتاج المربي إلى تعلم اختيار الأسلوب المناسب وتطبيقه، بدل تكرار طريقة اعتادها دون مراجعة أثرها، مع مراعاة الضوابط الشرعية في جميع ما يستخدمه من أساليب.

◆ الحاجة إلى توفير الوقت اللازم للتربية

في السابق، كان تفرّغ الأم لشؤون البيت وتربية الأولاد، مع قيام الأب بتوفير النفقة، يتيح للأبناء مزيدًا من المرافقة والتعليم والاحتواء. أما اليوم، فتجمع أسر كثيرة بين عمل الأب وعمل الأم، وقد يعود كلاهما منهكًا، فتقل فرص الاهتمام بالأولاد وتوجيههم.

وهنا ينبغي للأم أن تراجع أولوياتها إذا كان عملها يأتي على حساب تربيتهم؛ فزيادة الدخل لتوفير الكماليات لا تعوّض غياب الرعاية. وإذا أمكن تخفيف ساعات العمل وتقليل النفقات غير الضرورية، كانت تربية الأولاد أولى بهذا الوقت والجهد.

أما من تضطر إلى العمل، فتحتاج إلى تنظيم وقتها وتأمين رعاية موثوقة، مع بقاء الأب شريكًا مسؤولًا عن التربية والمتابعة.

ولا يكفي توفير الوقت وحده؛ بل ينبغي تخصيص جزء منه لقراءة الكتب التربوية وفهم أساليبها وتطبيقها؛ فالأولاد يحتاجون إلى حضور واعٍ يفهمهم

ويعلمهم ويحتويهم، والتقصير في ذلك قد يتركهم لمؤثرات تضعف ما نرجوه لهم من صلاح واستقامة.

◆ اتساع المؤثرات عبر التقنيات ووسائل الإعلام والتواصل

كانت التربية أيسر في بعض جوانبها قبل اتساع حضور الإنترنت والألعاب الإلكترونية ووسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي في حياة الأولاد. أما اليوم، فقد تعددت الجهات التي تؤثر في أفكارهم ومشاعرهم وسلوكهم، وأصبح الوصول إليها متاحًا في كل وقت.

وهذه الوسائل سيف ذو حدين؛ فقد تكون نافعة للتعلم وتنمية المهارات إذا أُحسن استعمالها، وقد تصبح بابًا للمحتوى الضار والعلاقات المؤذية إذا أُسيء استخدامها.

فالمتابعة دون توجيه أو ضوابط قد تجعل الولد يألف السلوك المنحرف، ويتأثر بالأفكار المضللة، ويقلد ما يشاهده، فيبتعد عن القيم التي تسعى الأسرة إلى غرسها فيه، وتزداد صعوبة توجيهه.

ولهذا تحتاج التربية اليوم إلى وقت واهتمام ومتابعة أكثر من السابق؛ فلا يكفي توفير الأجهزة ثم ترك الأولاد يتعاملون معها وحدهم. بل ينبغي تحصينهم بالإيمان والوعي، وتعليمهم حسن استعمال التقنيات الرقمية، واختيار المحتوى والصحبة، وتنظيم وقت الاستخدام، مع بناء علاقة تشجعهم على المصارحة وطلب المساعدة.

◆ قصور العناية بالتربية في المؤسسات التعليمية

يبدأ كثير من أولادنا دراستهم في الروضة، ثم ينتقلون إلى الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، وصولًا إلى الجامعة، ويقضون في هذه المؤسسات ساعات طويلة خلال سنوات متتابعة.

ولذلك يفترض أن تضطلع هذه المؤسسات بمسؤولية تربية الأولاد إلى جانب تعليمهم؛ فإلى جانب تعليم التاريخ والجغرافية وسائر العلوم، ينبغي

أن تعتني بالتربية الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والصحية، وتنمية المهارات الحياتية، من خلال مناهج متدرجة وتطبيقات تناسب كل مرحلة.

لكن حين يُهمَّش الجانب التربوي، وتخلو المناهج الدراسية من الكتب التربوية التي تغرس الإيمان والأخلاق وتنمّي المهارات الحياتية، فقد يتخرج الطالب حاملًا شهادة، لكنه يفتقر إلى ما يعينه على استقامة سلوكه، وحسن التعامل مع الآخرين، وتحمل مسؤوليات الحياة.

ومع هذا القصور، يزداد العبء على الأسرة، وبالأخص الوالدين؛ فمسؤوليتهما التربوية لا تسقط بإرسال الولد إلى المدرسة. قال تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.[٩]

ولهذا يحتاجان إلى مزيد من الاستعداد والتعلم، وتخصيص الوقت لتعليم أولادهما ومتابعتهم وتعويض ما ينقصهم. ومن هنا تأتي أهمية قراءة الكتب التربوية والتدرب على تطبيقها؛ حتى تكون الأسرة أقدر على أداء مسؤوليتها، دون أن يعني ذلك إعفاء المؤسسات التعليمية من واجبها.

المبحث الخامس: دليل الإفادة من سلسلة «لمسات تربوية»

يأتي هذا الكتاب مدخلًا لفهم مرحلة الطفولة المتأخرة ومتطلبات تربيتها، وبيان معنى التأديب وأساليبه وضوابطه، تمهيدًا للأجزاء التي تفصّل القيم والمهارات وتطبيقاتها. ولتتضح صلته ببقية السلسلة وطريقة الانتفاع بها، نبين الآتي:

أولًا: خطة السلسلة

تتناول هذه الأجزاء من سلسلة «لمسات تربوية» موضوعات تربوية تخص مرحلة الطفولة المتأخرة، ونقصد بها السنوات السبع الثانية، من السابعة إلى الرابعة عشرة، استنادًا إلى التقسيم السباعي الوارد في روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين».[١٠] وتتداخل سنواتها الأخيرة مع بدايات المراهقة، التي يختلف تحديد بدايتها بين العاشرة والحادية عشرة بحسب التقسيم المعتمد؛ ولذلك يمكن للمربي الاستفادة أيضًا من الأجزاء المخصصة للمراهقة، واختيار ما يناسب فهم ولده وحاجاته واستعداده، دون انتظار انتهاء الرابعة عشرة.

وتفصّل الأجزاء اللاحقة مجالات التربية والمهارات الحياتية التي سبق التعريف بها، ويخصص لكل موضوع ما يحتاج إليه من شرح وتطبيق. ويقوم العرض على بيان المعنى وأهميته، والاستفادة من الآيات وروايات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم تقريب الفكرة بأمثلة من حياة الأبناء، وطرح توجيهات وأنشطة وتمارين تعين المربي على تطبيقها.

ولا تنفصل موضوعات السلسلة بعضها عن بعض؛ فالتربية على الصلاة تتصل بتنظيم الوقت وتحمل المسؤولية، وحسن اختيار الصديق يتصل

بالتفكير واتخاذ القرار، وضبط الغضب يعين على الحوار وحفظ العلاقات.
ولذلك قد يحتاج المربي إلى الرجوع إلى أكثر من موضوع لمعالجة موقف واحد.



ثانيًا: طريقة الإفادة من السلسلة

توجه السلسلة إلى الوالدين، والمعلمين، والمرشدين، والمستشارين، وغيرهم ممن يتولون التربية والتوجيه. وللانتفاع بمادتها، تراعى الإرشادات الآتية:

◆ **اختيار الموضوع بحسب الحاجة**

يستحسن البدء بهذا الجزء للتعرف إلى خصائص المرحلة وأسس التعامل التربوي معها، ثم يمكن قراءة الأجزاء اللاحقة بالتتابع، أو اختيار موضوع تقتضيه حاجة الولد؛ كالصلاة، أو اختيار الأصدقاء، أو التعامل مع الغضب، أو تنظيم استخدام الأجهزة، مع الرجوع إلى الموضوعات المرتبطة به.

◆ **فهم الفكرة قبل تطبيق النشاط**

يقرأ المربي شرح الموضوع وأهدافه أولًا؛ ليعرف ما يريد تنميته في الولد، ثم يختار النشاط الذي يخدم هذا الهدف، فلا يتحول التطبيق إلى عمل يؤديه الولد دون فهم.

◆ **مراعاة الفروق بين الأبناء**

يختار المربي من الأمثلة والأنشطة ما يناسب عمر الولد وفهمه وقدراته وظروفه، ويعدل طريقة العرض عند الحاجة؛ فقد يناسب أحد الأبناء الحوار، بينما يحتاج آخر إلى مثال محسوس أو تدريب عملي.

◆ **التدرج في التطبيق**

تعدد التمارين والأنشطة يتيح للمربي الاختيار، ولا يعني مطالبته بتطبيقها كلها أو إنجازها في وقت قصير. ويمكن البدء بنشاط مناسب، وتكراره أو تطويره بحسب استجابة الولد، ثم الانتقال إلى غيره.

◆ **ربط التعلم بالحياة اليومية**

تستثمر المواقف المعتادة في التدريب؛ فالمصروف فرصة لتعلم إدارة المال، والخلاف بين الإخوة فرصة للحوار والعدل، والمهمة المنزلية فرصة لتحمل المسؤولية. وبذلك تمتد التربية إلى ما يعيشه الولد كل يوم.

◆ **الجمع بين القدوة والتوجيه والتدريب**

تزداد فائدة الشرح حين يرى الولد معناه في سلوك المربي، ويجد فرصة للعمل به، ويتلقى المساعدة والتشجيع. فلا يكتفى بتعريفه بالصدق أو الاحترام، بل يعان على ممارستهما في المواقف الفعلية.

◆ **متابعة التقدم ومراجعة الأسلوب**

يلاحظ المربي ما يتحسن في فهم الولد وسلوكه، ويقدر تقدمه، ويساعده على تصحيح أخطائه. وإذا لم تظهر النتيجة المرجوة، يراجع وضوح التوجيه وملاءمة النشاط والوقت المتاح للتدريب، دون استعجال أو مقارنة جارحة بالآخرين.

◆ **الاستعانة بالمختص عند الحاجة**

تقدم السلسلة إرشادات تربوية عامة، وقد تستدعي بعض الصعوبات المستمرة أو المواقف المؤذية الاستعانة بمختص مناسب، إلى جانب استمرار الرعاية الأسرية والتعاون مع الجهات المعنية.



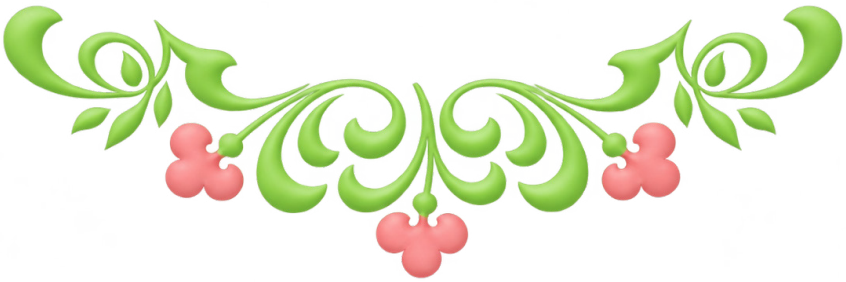
الباب الأول:

خصائص الطفولة المتأخرة ومتطلبات تربيتها



الفصل الأول:

الخصائص العقلية والمعرفية



مع انتقال الولد من الطفولة المبكرة إلى الطفولة المتأخرة، تتسع قدرته على الفهم والتذكر والتفكير، وتزداد معارفه وخبراته. ومع هذا التقدم، تظل قدراته في طور النمو، ويحتاج إلى التعليم والتدريب بما يناسب فهمه.

ونبيّن في المباحث الآتية أبرز هذه الخصائص العقلية والمعرفية، وكيف يراعيها المربي في تعليمه وتوجيهه.

المبحث الأول: نمو الفهم والتفكير

تتسع قدرة الولد على الفهم والتفكير في مرحلة الطفولة المتأخرة؛ فيصبح أقدر على ملاحظة التفاصيل، والمقارنة بين الأشياء، وفهم الأسباب والنتائج. لكنه يظل محتاجًا إلى من يشرح له ما يجهله، ويعينه على فهمه وتطبيقه. ولمراعاة هذا النمو في تربيته، ننتبه إلى الأمور الآتية:



قد يجيد الولد عملًا، لكنه يحتاج إلى التعليم في عمل آخر، فلا نحكم على جميع قدراته من أمر واحد أتقنه.

مثال: يستطيع استخدام الهاتف وفتح التطبيقات، لكنه قد يصدق إعلانًا يخبره بأنه ربح جائزة ويطلب منه معلوماته الشخصية. فمهارته في استخدام الهاتف لا تعني معرفته بأساليب الخداع؛ ولذلك نعلمه ألا يرسل معلوماته، وأن يعرض الرسالة على أحد والديه قبل التصرف.

◆ تقريب المعاني بأمثلة من حياته

من مراعاة فهم الولد أن نشرح له المعنى بألفاظ يعرفها وأمثلة قريبة من حياته، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم».[١١]

مثال: عندما نعلمه تجنب الإسراف، نقول: «إذا خرجنا من الغرفة، ولم يبق فيها أحد يحتاج إلى الضوء، نطفئه؛ لأن بقاءه مضاءً يستهلك الكهرباء دون حاجة».

ومثال آخر: إذا اتهم زميله بالغش لأنه فاز عليه، نسأله: «هل رأيته يغش، أم أنك اتهمته لأنك لم تفز؟». ثم نوضح له أن الإنصاف يقتضي ألا يتهم غيره دون دليل.

◆ التأكد من الفهم، لا الاكتفاء بالقراءة والحفظ

قد يقرأ الولد الكلام قراءة صحيحة، أو يحفظه ويردده، لكنه لا يفهم معناه. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم».[١٢]

ولنتعرف إلى فهمه، نطلب منه أن يوضح ما قرأه بطريقته، دون اشتراط تكرار الكلمات نفسها. فإذا أخطأ، نشرح الجزء الذي لم يفهمه، ثم نعطيه موقفًا بسيطًا يطبق فيه المعنى.

مثال: يقرأ في نشاط مدرسي: «صنّف الصور بحسب وسيلة النقل». نسأله: «ماذا ستفعل بالصور؟». فإذا لم يعرف معنى «صنّف»، نوضح له: «اجمع صور السيارات معًا، وصور الطائرات معًا، وصور السفن معًا». ثم نعطيه صورًا أخرى ليجمعها بنفسه؛ لنتأكد من أنه فهم.

ويكون ذلك بهدوء، ضمن الحديث والتعلم، دون إحراج أو تحويل كل سؤال إلى اختبار.[١٣]

◆ مساعدة الولد على التنفيذ بعد فهم المطلوب

لا نكتفي بأن يفهم الولد ما نعلمه، بل نتيح له تطبيقه، وندربه عليه، ونتابع ما يحتاج إلى تصحيح؛ حتى تتحول المعرفة إلى سلوك. فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»[١٤].

مثال: حين نعلمه الاستئذان، نتدرب معه على طرق الباب وانتظار الإذن، ثم نتابع تطبيقه في المواقف اليومية، بدل الاكتفاء بحفظه آداب الاستئذان.

وقد يعرف المطلوب، لكنه ينسى بعض خطوات تنفيذه؛ فنساعده بما يعينه على تذكرها. فإذا كان يعرف أدواته المدرسية، لكنه ينسى وضع بعضها في الحقيبة، نعد معه قائمة قصيرة يراجعها، ثم نقلل مساعدتنا تدريجيًا مع تحسن أدائه، دون تفسير كل نسيان بأنه إهمال متعمد.

المبحث الثاني: التعلم وتنمية الذاكرة

تتيح مرحلة الطفولة المتأخرة فرصًا واسعة للتعلم واكتساب المعارف والمهارات النافعة. وقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «العلم من الصغر كالنقش في الحجر»[١٥]، وهو ما يدعونا إلى اغتنام هذه المرحلة في تعليمه ما ينفعه. ويحتاج الولد فيها إلى تعليم يناسب فهمه، وممارسة تثبت ما تعلمه، ومراجعة تساعده على تذكره. ولتنمية تعلمه وذاكرته، نراعي الأمور الآتية:



◆ تعليمه ما يحتاج إليه في وقته

روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين».[١٦]

توجهنا الرواية إلى الاهتمام بالتعليم في هذه المرحلة، ولا يعني ذلك تأخير الأحكام التي يحتاج إليها الولد حتى يكبر؛ بل نعلمه ما يحتاج إليه في وقته، وبطريقة تناسب فهمه.

ويشمل تعليمه القرآن والعقيدة والأحكام والآداب والمعارف والمهارات النافعة، مع التدرج في تقديمها، حتى يجد فرصة لفهم ما يتعلمه والتدرب عليه.

مثال: عندما يبدأ تعلم الصلاة، نعلمه ما يحتاج إليه من الطهارة وأفعال الصلاة وأقوالها، ونشرح له المسائل التي تواجهه، دون إشغاله منذ البداية بتفاصيل كثيرة لا يحتاج إليها بعد.

◆ تقسيم التعليم إلى خطوات واضحة

قد يصعب على الولد تعلم عمل جديد إذا شرحنا تفاصيله كلها دفعة واحدة. فنقسمه إلى خطوات قصيرة، ونوضح له كل خطوة، ثم نتيح له المحاولة قبل الانتقال إلى ما بعدها.

مثال من التربية العبادية: إذا أخطأ في غسل وجهه في الوضوء، نريه طريقة الغسل الصحيحة، ثم نطلب منه تطبيقها، ونصحح ما يحتاج إلى تصحيح. وبعد ذلك نتابع بقية الوضوء.

ومثال من المهارات الحياتية: نعلمه كتابة رسالة مهذبة إلى معلمه؛ فيبدأ بالتحية، ثم يكتب طلبه بوضوح، ويختم بالشكر.

وبعد أن نوضح له هذه الأجزاء، يكتب رسالة بنفسه ونراجعها معه.

◆ ربط المحفوظ بمعناه

للحفظ أهمية في تعلم القرآن والأذكار والمعارف الأساسية، ويزداد نفعه حين يصاحبه فهم يناسب عمر الولد. ولذلك نشرح له ما يحفظه، ونربطه بموقف من حياته، دون أن نعد قدرته على ترديد الكلام دليلًا كافيًا على العمل به.[١٧] فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية؛ فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل»[١٨].

أي إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعونا إلى فهم ما نسمعه والانتفاع به؛ فعقل الرعاية هو فهم المعنى ومراعاته في العمل، أما عقل الرواية فهو الاكتفاء بحفظ الكلام ونقله. فكثيرون يروون العلم، لكن الذين يفهمونه ويعملون به أقل.

مثال: يحفظ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾[١٩] فنوضح له أن من معانيها ألا ننقص الناس حقوقهم، ثم نقول: «إذا أنجزت عملًا مع زميلك، فمن حقه أن تذكر مشاركته، وألا تنسب العمل كله إلى نفسك».

◆ تثبيت التعلم بمحاولة التذكر

بعد أن يتعلم الولد شيئًا، نتيح له فرصة لتذكره بنفسه قبل أن نعيده عليه. فمحاولة استرجاع المعلومة من الوسائل التي يمكن أن تساعد على تثبيتها في الذاكرة.[٢٠]

مثال: بعد قراءة قصة قصيرة ومناقشتها، نسأله في اليوم التالي: «ما المشكلة التي واجهت الشخصية؟ وكيف حلتها؟». فإذا نسي، نذكره ببداية الحدث، ونترك له فرصة لإكماله، ثم نصحح ما اختلط عليه.

والغرض من هذه المراجعة مساعدته على التذكر، لا إحراجه أو محاسبته على كل ما نسيه.

كما أن تذكر أحداث القصة لا يعني وحده اكتساب القيمة التي تتضمنها؛ فذلك يحتاج أيضًا إلى تدريب ومتابعة في الحياة اليومية.

◆ ترتيب المعلومات لتسهيل تذكرها

نساعد الولد على جمع المعلومات المتشابهة، وتقسيمها إلى مجموعات واضحة، أو ترتيبها بحسب تسلسل العمل؛ حتى يسهل عليه فهم العلاقة بينها واسترجاعها.[٢١]

مثال: عند تعليمه آداب الزيارة، نجمعها في ثلاثة أقسام: قبل الزيارة، وأثناءها، وعند الانصراف. فيتذكر قبلها الاستئذان واختيار الوقت المناسب، وأثناءها حسن الحديث واحترام خصوصية أهل البيت، وعند الانصراف الشكر والاستئذان بالمغادرة.

◆ مراعاة قدرته ومتابعة ما يصعب عليه

يختلف الأبناء في سرعة التعلم ومقدار ما يحتاجون إليه من الشرح والتكرار. وقد ورد في رواية إسحاق بن عمار أنه سأل الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن اختلاف الناس؛ فمنهم من يفهم مقصده من بعض كلامه، ومنهم من يستمع إليه كاملًا ثم يعيده، ومنهم من يطلب إعادة الكلام، فبيّن الإمام اختلافهم في ذلك.[٢٢] ونستفيد من هذا المعنى تربويًا ألا نتوقع من جميع الأبناء سرعة واحدة في الفهم والتعلم.

وقد يفهم الولد الفكرة، لكنه ينسى بعض تفاصيلها، أو يتذكر الخطوات لكنه يحتاج إلى تدريب على تنفيذها. فنحدد ما يصعب عليه، ونجرب مساعدة مناسبة، ونقارن تقدمه بأدائه السابق، دون مقارنات جارحة بغيره. وقد روي عن الإمام الحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه دعا بنيه وبني أخيه، فقال: «إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[٢٣]. ومن هذا التوجيه نتعلم أن صعوبة الحفظ لا تدعونا إلى الانتقاص من المتعلم، بل إلى إعانته بوسيلة تناسبه.

مثال: إذا كان يعرف الأدوات المطلوبة للمدرسة، لكنه ينسى وضع بعضها في الحقيبة، نضع معه قائمة يراجعها بعد الانتهاء، ثم نلاحظ هل قل

النسيان مع استخدامها. وإذا استمرت صعوبة واضحة تؤثر في تعلمه رغم المساعدة المناسبة، نتعاون مع المدرسة ونستعين بالمختص عند الحاجة، مع وصف الصعوبة بدقة، بدل الحكم عليه بأنه ضعيف الفهم أو غير قادر على التعلم.

المبحث الثالث: تنمية مهارات التفكير

تنمو مهارات التفكير عند الولد حين نتيح له أن يسأل، ويلاحظ، ويقارن، ويبحث عن الأسباب والحلول. ودور المربي أن يساعده على ذلك، وألا يكتفي بإعطائه إجابة جاهزة في كل موقف، بل يوجهه إلى الطريقة التي تعينه على الوصول إلى جواب صحيح. ولتنمية هذه المهارات، نراعي الأمور الآتية:



◆ تشجيع السؤال وحسن الاستماع

نشجع الولد على السؤال، ونحسن استقبال أسئلته، ونعلمه آداب السؤال مع تقدمه في العمر؛ فقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من سأل في صغره أجاب في كبره»[٢٤]. أي من يسأل في صغره ويتعلم أجوبة ما يجهله، تنمو معرفته، فيصبح حين يكبر أقدر على الإجابة وإفادة غيره.

وقد لا يحسن التعبير عما يريد، فنساعده على توضيحه، وإذا لم نفهم مقصده سألناه قبل الإجابة.[٢٥]

مثال: إذا سأل: «لماذا ندعو ولا يحدث ما نريد؟»، نستمع إليه لنعرف ما يشغله؛ فقد يكون قد دعا لأمر معين ولم يتحقق. نجيبه بما يناسب فهمه، وإذا احتاج الجواب إلى مراجعة، نخبره أننا سنتحقق منه، دون أن نجعل سؤاله سببًا لاتهامه أو توبيخه.

◆ تنمية الملاحظة والتمييز بين المشاهدة والتخمين

نوجه الولد إلى ملاحظة ما حوله والتأمل فيه، ونساعده على التفريق بين ما يراه فعلًا وما يتوقع أنه سبب لما رآه. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾.[٢٦]

مثال: نطلب منه وصف نبتة ذابلة. فإذا قال: «ذبلت لأنها لم تُسقَ»، نوضح له أنه شاهد الذبول، أما سببه فيحتاج إلى تحقق؛ فقد تكون التربة جافة، وقد يكون للذبول سبب آخر. وهكذا يتعلم ألا يعامل كل تفسير يخطر بباله على أنه حقيقة مؤكدة.

◆ المقارنة وبيان أسباب الاختيار

من مهارات التفكير أن يلاحظ الولد أوجه الشبه والاختلاف، ثم يستفيد منها في الاختيار، ويبين سبب اختياره. وقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من فكر قبل العمل كثر صوابه»[٢٧].

مثال: إذا أراد شراء أداة مدرسية، نقارن معه بين أداتين من حيث مناسبتها لحاجته وجودتها وسعرهما، ثم نسأله عن اختياره وسببه. ولا نطالبه بشرح طويل، بل نعينه على ذكر سبب واضح، كأن يقول: «اخترتها لأنها تؤدي الغرض وسعرها مناسب».

◆ التثبت من المعلومات ومعرفة مصادرها

نعلم الولد ألا يصدق كل ما يسمعه أو يشاهده دون تثبت، وأن يعرف ممن يأخذ معلوماته. وقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[٢٨]، أنه قال: «علمه الذي يأخذه، عمن يأخذه»[٢٩].

ونعوده أن يسأل: من قال هذا؟ وهل هو مختص؟ وأين نجد المصدر؟ وهل ما نسمعه حقيقة أم رأي أم إعلان؟

مثال: يسمع معلومة دينية في مقطع، فنبحث معه عن مصدرها، ونتحقق من لفظ الرواية أو فتوى المرجع، بدل اعتماد شهرة المتحدث وحدها.

وفي المعلومات الأخرى نرجع إلى أهل الاختصاص ومصادرهم المناسبة. ويحتاج الولد إلى رؤية المربي وهو يتحقق ويصحح خطأه أيضًا.

◆ الاعتراف بعدم المعرفة

نعود الولد أن يقول: «لا أعرف»، أو: «أحتاج إلى التحقق»، دون خجل أو شعور بأنه مطالب بالإجابة عن كل سؤال. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، في بيان حق الله على خلقه: «أن يقولوا ما يعلمون، ويكفوا عما لا يعلمون»[٣٠].

مثال: يُسأل عن حكم شرعي لا يعرفه، فيقول: «لا أعرف الحكم، فلنرجع إلى مصدره». ونقدر صدقه واستعداده للتعلم.

وإذا أخطأ، نبين له التصحيح، ونشجعه على المراجعة. ويكون المربي قدوة حين يتوقف عن الجواب فيما يجهله، ثم يعود بالمعلومة الصحيحة.

◆ اقتراح الحلول وتجربتها بأمان

نشرك الولد في البحث عن حلول للمشكلات التي يستطيع فهمها، ونساعده على اختيار حل مناسب وتجربته، ثم مراجعة نتيجته.[٣١]

مثال: يتكرر ضياع الأدوات المشتركة، فنسأل الأولاد عن حلول ممكنة، ونناقش اقتراحاتهم، ثم نختار حلًا، كإعداد مكان ثابت للأدوات، ونجربه مدة مناسبة، ثم نسأل: هل قل الضياع؟ وما الذي يحتاج إلى تعديل؟

وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «والعقل حفظ التجارب، وخير ما جرّبت ما وعظك»[٣٢]. فنساعد الولد على استخلاص ما تعلمه من التجربة والاستفادة منه في المواقف التالية.

ونتيح له التجربة في الأمور الآمنة، أما ما يعرضه أو يعرض غيره للضرر، فنعلمه بوسيلة مأمونة ونمنع الخطر.

◆ الإنصاف ومراجعة الأحكام

نعلم الولد أن الغضب من شخص أو الاختلاف معه لا يبيح ظلمه، وأن الحكم على المواقف يحتاج إلى استماع وتثبت وإنصاف. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.[٣٣]

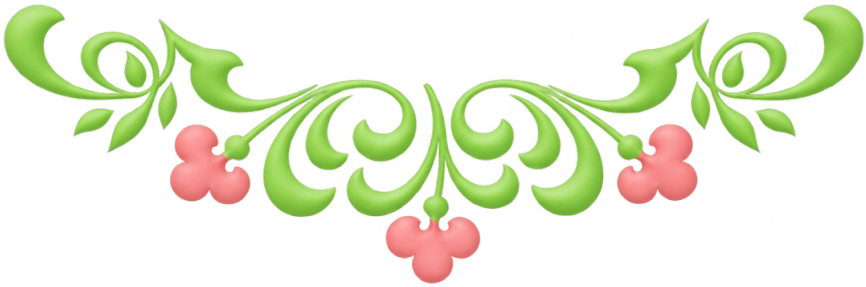
مثال: يغضب من زميله فيقول: «هو لا يفعل خيرًا أبدًا». نساعده بعد هدوئه على وصف الواقعة المحددة، والتمييز بينها وبين الحكم على جميع تصرفات زميله. فقد يكون زميله قد أخطأ في هذا الموقف، دون أن تكون جميع أعماله سيئة.

ونعلمه أن يسمع من الطرف الآخر، ويراجع رأيه إذا تبين خطؤه، ويعتذر إذا ظلم غيره؛ فالتفكير السليم يصاحبه الصدق والأمانة والإنصاف.



الفصل الثاني:

الخصائص النفسية والانفعالية



تنمو في مرحلة الطفولة المتأخرة رغبة الولد في الاستقلال وإثبات ذاته، ويزداد اهتمامه بتقدير الآخرين وقبولهم له، مع استمرار حاجته إلى المحبة والأمان. وتتأثر مشاعره وميوله بما يلقاه من معاملة وخبرات، ويحتاج إلى تعلم التعبير عن انفعالاته وضبط تصرفاته.

ونتناول هذه الجوانب في أربعة مباحث، مع مراعاة اختلاف الأولاد في طباعهم وخبراتهم وظروفهم.

المبحث الأول: الاستقلالية وإثبات الذات وصيانة الكرامة

يرغب الولد في أن يشعر بقدرته على الاختيار والعمل، وأن يكون لرأيه مكان عند من يربيه. ويمكن أن نستفيد من هذه الرغبة في تعليمه تحمل المسؤولية، مع حفظ كرامته ومساعدته فيما يصعب عليه. ولتحقيق ذلك، نراعي الأمور الآتية:



نترك للولد مجالًا مناسبًا ليختار ويجرب، بدل أن نقرر عنه كل شيء أو نقوم بجميع أعماله. ونوضح له الحدود التي ينبغي مراعاتها، ثم نتيح له العمل، ونتدخل بقدر حاجته إلى المساعدة.

مثال: يريد ترتيب مكان دراسته بطريقته. نتفق معه على أن يكون المكان آمنًا، والإضاءة مناسبة، والأدوات في متناوله، ثم نترك له اختيار ترتيبها. وإذا لم يناسبه الترتيب بعد تجربته، نساعده على تعديله.

ويرتبط دعم الوالدين لاستقلال الأبناء بمؤشرات أفضل للعافية النفسية، بحسب تحليل تجميعي شمل ٢٣٨ دراسة.[٣٤] ويمكن الاستفادة من هذه النتيجة في تشجيع الاختيار والمبادرة، مع استمرار التوجيه والحماية.

◆ فهم سبب الرفض قبل وصفه بالعناد

قد يرفض الولد طلبًا لأنه لم يفهم سببه، أو لأنه يريد التعبير عن اختياره، أو لأنه يواجه صعوبة لم يخبرنا بها. فنستمع إليه قبل الحكم على تصرفه، ثم نعالج السبب، ونعلمه أن يعبر عن اعتراضه بأدب.

مثال: يرفض الذهاب إلى نشاط اعتاد المشاركة فيه. نسأله بهدوء: «ما الذي يزعجك في الذهاب؟». فإذا تبين أن زميلًا يسخر منه، نساعده على التعامل مع الإساءة، ونتعاون مع المشرف لحمايته، بدل الاكتفاء بإجباره على الحضور.

ولا يعني الاستماع إليه الموافقة على كل ما يطلبه؛ فقد نبقي على القرار بعد توضيح سببه، مع مساعدته على تجاوز الصعوبة.

ومن المهم ألا يتحول اختلافنا معه إلى عتاب متكرر؛ فقد تزيد كثرة اللوم نفوره، دون أن تكشف لنا سبب رفضه أو تعلمه التصرف المناسب. وقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا تكثرن العتاب؛ فإنه يورث الضغينة، ويدعو إلى البغضاء».[٣٥] فنستمع إليه، ونوضح المطلوب، ونعالج الخطأ بقدر الحاجة، دون إعادة اللوم في كل مناسبة.

◆ حفظ كرامته عند تصحيح الخطأ

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم».[٣٦]

فإكرام الولد وحسن تأديبه يجتمعان؛ نوضح له الخطأ، ونطلب إصلاحه، دون سب أو تعيير أو تشهير. ويكون كلامنا عن التصرف الذي يحتاج إلى تصحيح، بدل إطلاق حكم جارح على شخصه.

ونختار للنصيحة وقتًا وطريقة يحفظان كرامته، فلا نجعل خطأه حديثًا أمام الآخرين. وقد روي عن الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه».[٣٧] فنصحح الخطأ بيننا وبينه متى أمكن، مع التدخل الفوري لإيقاف الأذى إذا احتاج الموقف إلى ذلك.

مثال: نسي غرضًا مهمًا، فلا نقول أمام الآخرين: «لا يمكن الاعتماد عليك أبدًا»، بل نقول له: «نسيت هذا الغرض، فلنراجع كيف جهزت أغراضك، وما الذي يساعدك على تذكره في المرة المقبلة».

وإذا اعتدى على حق غيره، نطلب منه رد الحق وإصلاح ما أفسده؛ فحفظ كرامته لا يعفيه من مسؤولية تصرفه.

◆ تكليفه بما يستطيع وتقدير تقدمه

نعطي الولد مهام تناسب قدرته، ونوضح له المطلوب، ونتيح له التدريب، ثم نزيد المسؤولية تدريجيًا. وقد ورد في إعانة الولد على البر: «يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به».[٣٨]

ونقدر جهده بعبارات واضحة تبين ما أحسن فيه، مثل: «راجعت خطواتك فأكملت العمل»، أو: «حاولت مرة أخرى بعد أن أخطأت». ونقارن تقدمه بأدائه السابق، دون إحراجه بمقارنته بإخوته أو زملائه.

مثال: يتردد في الحديث أمام مجموعة، فنبدأ بإتاحة حديث قصير داخل

الأسرة، ونستمع إليه دون مقاطعة أو سخرية. وبعد أن يألف ذلك، نشجعه على المشاركة في مجموعة صغيرة، ونتدرج معه بحسب استعداده.

المبحث الثاني: قابلية الوجدان للتشكل

نقصد بالوجدان هنا مشاعر الولد وميوله؛ ما يحبه وما ينفر منه، وما يطمئنه وما يخيفه، وكيف يشعر تجاه نفسه والآخرين. وتتأثر هذه المشاعر بما يعيشه من مواقف وما يلقاه من معاملة؛ ولذلك نهتم بطريقة تعليمه وتوجيهه، إلى جانب اهتمامنا بالمعلومات التي نقدمها له.[٣٩] ولمراعاة هذا الجانب في تربيته، ننتبه إلى الأمور الآتية:



◆ الانتباه إلى أثر المعاملة في مشاعره

قد يرتبط التعلم عند الولد بالراحة والتشجيع، أو بالخوف والإحراج، بحسب ما يلقاه أثناءه. فنراجع طريقة استقبالنا لسؤاله وخطئه ومحاولته، حتى نعينه على التعلم والمصارحة.

مثال: إذا سأل عن معنى كلمة، فلا نسخر منه بقولنا: «ألا تعرف هذا حتى الآن؟»، بل نشرحها له ببساطة. وإذا تكرر سؤاله، نتأكد مما لم يفهمه، بدل إشعاره بأن السؤال عيب.

والرفق في استقبال سؤاله وخطئه يعينه على تقبل التوجيه والعودة إلينا فيما يشكل عليه. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من كان رفيقًا في أمره نال ما يريد من الناس».[٤٠] فنختار من الكلام والتصرف ما يقربه من التعلم والإصلاح، ونراجع أسلوبنا إذا وجدناه يزيد خوفه أو نفوره.

◆ المبادرة إلى التربية ومواصلة الإصلاح

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في وصيته لولده الحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك».[٤١]

يبين هذا النص أهمية المبادرة إلى تربية الناشئ، وحسن اختيار ما نقدمه له من معرفة وقدوة وخبرة؛ لما لذلك من أثر في تكوينه. وإذا تأخرنا في تعليمه، أو أخطأنا في معاملته، فلا نتوقف عند الندم، بل نبدأ بتصحيح ما نستطيع، ونمنحه وقتًا ليتجاوب مع التغيير. فالحث على المبادرة لا يعني اليأس من الإصلاح بعد فوات فرصة سابقة.

مثال: اعتاد الولد إخفاء ما يزعجه خوفًا من التوبيخ. نبدأ بالاستماع إليه بهدوء، ونتجنب مقاطعته باللوم، ونستمر على هذه المعاملة في المواقف التالية. وقد لا يصارحنا من المرة الأولى؛ لأنه يحتاج إلى أن يطمئن إلى تغير أسلوبنا.

◆ موافقة سلوك المربي لما يعلمه

يتأثر الولد بما يراه من المربي، إلى جانب ما يسمعه منه؛ فإذا دعوناه إلى الرحمة والإنصاف والاعتذار، احتجنا إلى أن يرى هذه المعاني في معاملتنا. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير؛ فإن ذلك داعية».[٤٢] فالسلوك العملي يقرب المعنى، ويبين للولد كيف يعمل بما يتعلمه.

مثال: يتعجل المربي في اتهام ولده، ثم يتبين له أنه لم يفعل ما اتهمه به، فيقول: «تعجلت في الحكم عليك، وأعتذر عن ذلك». فيرى الولد أن الاعتراف بالخطأ وإصلاحه مطلوبان من الكبير والصغير.

ومثال آخر: نعلمه احترام العامل، ثم يرانا نحسن مخاطبته، ونشكره، ونحفظ حقه؛ فيقترن المعنى الذي سمعه بموقف يشاهده.

◆ تعليمه مراعاة مشاعر الآخرين

نساعد الولد على فهم أثر كلامه وتصرفه في غيره، ونقرب له ذلك بسؤاله عما يجب أن يعامل به، وما يتألم منه إذا صدر من الآخرين. وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «يا بني، اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك».[٤٣]

فإذا أدرك أن السخرية تؤلمه، علمناه ألا يسخر من غيره، وإذا أحب أن يقبل الآخرون اعتذاره، علمناه حسن استقبال اعتذارهم. ثم نساعده على إصلاح الإساءة، فلا نكتفي بإشعاره بأنه أخطأ، بل نبين له ما يستطيع فعله بعد الخطأ.

مثال: يسخر من إجابة أخيه، فنوقف السخرية، ثم نسأله بهدوء: «كيف تشعر لو ضحك الآخرون على خطئك؟».

ونوضح له أن الخطأ لا يبرر الإهانة، ونطلب منه الاعتذار، ونقترح أن يساعد أخاه أو يشجعه بدل السخرية منه.

المبحث الثالث: إشباع الحاجات النفسية الأساسية

يحتاج الولد، إلى جانب الطعام والكسوة والعلاج، إلى المحبة والأمان والاهتمام والشعور بأن له مكانًا ودورًا في أسرته. وتلبية هذه الحاجات تعينه على الاطمئنان والتعلم وحسن التعامل، مع استمرار التوجيه وتعليمه تحمل المسؤولية. ومن أبرز ما نراعيه في ذلك:



◆ التعبير عن المحبة بطريقة يشعر بها

يحتاج الولد إلى أن يجد أثر محبتنا في كلامنا واهتمامنا واستقبالنا له ومشاركتنا إياه. وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده».(٤٤) كما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة».(٤٥) فالمحبة تظهر في الملاطفة والاهتمام وإدخال السرور، ولا تقتصر على تلبية الحاجات المادية.

ونراعي عمره وما يرتاح إليه في التعبير عن المودة؛ فقد يفرح بكلمة طيبة، أو بوقت خاص معه، أو باستماعنا إلى حديثه دون انشغال.

مثال: نخصص له وقتًا قصيرًا منتظمًا، يختار فيه حديثًا أو نشاطًا نشاركه فيه. نستمع ونتفاعل معه، ولا نجعل اللقاء كله أسئلة عن الواجبات والأخطاء.

◆ بناء الأمان والثقة

يحتاج الولد إلى أن يطمئن إلى قدرته على الرجوع إلينا إذا خاف أو أخطأ أو تعرض للأذى. ونبني هذه الثقة بالرحمة والرفق، والصدق والوفاء بالوعد، وحفظ خصوصيته، وتجنب تهديده بالتخلي عنه أو بحرمانه من محبتنا.(٤٦) وقد جمع التوجيه النبوي بين المحبة والرحمة والوفاء بالوعد؛ إذ روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أحبوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئًا ففوا لهم؛ فإنهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم».(٤٧) فنحرص على أن تكون وعودنا ممكنة، ونفي بما التزمنا به، ولا نستهين بما ينتظره منا لصغر سنه.

مثال: يعود خائفًا بعد كسر غرض. نطمئن أولًا إلى سلامته، ونستمع إلى ما حدث، ثم نعلمه كيف يتحمل مسؤوليته ويصلح ما يستطيع. فلا يمنعنا تصحيح الخطأ من طمأنته، ولا تمنعنا طمأنته من معالجة الخطأ.

وتشير مراجعة تجميعية للبحوث إلى أن الأطفال الذين يشعرون بأمان أكبر في علاقتهم بوالديهم يميلون إلى التعامل مع مشاعرهم بصورة أفضل؛ كأن يستطيعوا تهدئة أنفسهم عند الضيق، وضبط تصرفاتهم عند الغضب.[٤٨] وهذا يدعم العناية بالعلاقة المطمئنة، دون أن يعني أن كل صعوبة نفسية سببها الوالدان، أو أن المحبة وحدها تكفي لمعالجتها.

◆ العدل في المعاملة وإعطاء كل ولد حقه

نحرص على أن يجد كل ولد نصيبه من الاهتمام والاحترام. وننتبه إلى أثر معاملتنا في مشاعر الأبناء بعضهم تجاه بعض. وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال: «فهلا ساويت بينهما».[٤٩] فيلفت هذا الموقف نظر المربي إلى مراعاة الأولاد حتى في مظاهر المودة، وألا يغفل عن أحدهم وهو يظهر عاطفته للآخر.

وقد تختلف الرعاية بحسب العمر والحاجة؛ فالمريض يحتاج إلى عناية إضافية، ومن تصعب عليه الدراسة قد يحتاج إلى مساعدة أطول، مع بقاء حق بقية الأبناء في الرعاية.[٥٠]

مثال: يقول الولد: «أنت تجلس مع أخي أكثر». نستمع إليه، ونراجع مقدار اهتمامنا به، ونشرح له حاجة أخيه إلى المساعدة، ثم نخصص له وقتًا مناسبًا. ولا نتعجل في اتهامه بالغيرة أو الجحود.

كما لا نجعل التفوق الدراسي وحده سببًا للتقدير؛ فلكل ولد حق في المحبة والاحترام، مع تشجيعه على الاجتهاد وتحمل المسؤولية.

◆ إشعاره بأن له دورًا ومكانًا في الأسرة

نتيح للولد المشاركة في شؤون الأسرة بما يناسب قدرته، ونستمع إلى رأيه، ونعطيه مهمة يستطيع إنجازها. فيشعر بأنه فرد له مكانه، وأن مشاركته نافعة، دون تحميله مسؤوليات الكبار.

مثال: عند الاستعداد لزيارة عائلية، نسأله عما يقترحه، ونعهد إليه بإعداد بعض الأغراض المناسبة للصغار. وبعد إنجاز المهمة، نشكره ونوضح له كيف ساعدت مشاركته الأسرة.

وإذا شعر بالعزلة في المدرسة أو النشاط، نستمع إليه، ونتعرف إلى الصعوبة التي يواجهها، ونساعده على إيجاد صحبة مناسبة وتعلم ما يحتاج إليه من مهارات التواصل.

◆ إتاحة الأنس واللعب المناسب

نوفر للولد وقتًا للعب والراحة، ونشاركه بعض الأنشطة التي يحبها، مع مراعاة عمره والسلامة والضوابط الشرعية والتوازن مع واجباته. ويمكن أن تكون المشاركة في اللعب فرصة للمودة والتعاون وتعلم القواعد والتعامل مع الفوز والخسارة.[٥١]

ولا تقتصر مشاركة المربي لولده على الأمر والتصحيح؛ فمن حسن صحبته أن يلاطفه ويشاركه ما يناسب طفولته. وقد روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من كان له ولد صبا».[٥٢] أي يلاطف ولده ويشاركه ما يلائم سنه من اللعب، مع بقائه مربيًا يعلمه القواعد ويحفظ سلامته.

مثال: نشاركه لعبة مناسبة، ونلتزم بقواعدها كما نطلب منه الالتزام بها. وإذا خسر وغضب، نعترف بضيقِه ونساعده على الهدوء والمحاولة مجددًا، دون سخرية منه أو تغيير النتيجة كل مرة لحمايته من الخسارة.

المبحث الرابع: إدارة الانفعالات وضبط الغضب

قد يغضب الولد أو يحزن أو يخاف، ولا يعرف كيف يعبر عما يشعر به أو يتصرف عند اشتداد انفعاله. ويحتاج إلى من يساعده على فهم مشاعره والتعامل معها، مع تعليمه أن الغضب لا يبيح إيذاء الآخرين أو إتلاف الأشياء. ولتدريبه على ذلك، نراعي الأمور الآتية:



◆ التفريق بين الشعور والتصرف

نستمع إلى ما أزعج الولد، ونساعده على وصف شعوره، لكننا نوقف السلوك المؤذي ونوضح له التصرف المناسب. ففهم غضبه لا يعني الموافقة على اعتدائه، ومنعه من الاعتداء لا يمنعنا من سماع شكواه. وهذا من تطبيقات الجمع بين الرحمة والحزم.[٥٣]

ونعلمه أن ضبط الغضب لا يعني أنه لم يشعر به، بل أن يمنع نفسه من الاعتداء حين يغضب. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من كظم غيظًا ولو شاء أن يمضيه أمضاه، أملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه».[٥٤] فنقرب له معنى كظم الغيظ بأنه يمسك عن الضرب والكلام المؤذي، ويطلب حقه بطريقة مشروعة.

مثال: يدفع زميله لأنه أخذ مكانه. نوقف الدفع، ونقول: «فهمت أنك غضبت لأنه أخذ مكانك، لكن لا يجوز أن تدفعه. قل له: هذا مكاني، وإذا لم تستطيعا حل الخلاف فاطلبا المساعدة».

◆ تدريبه على التعبير الواضح

قد يصرخ الولد أو يستعمل كلمات جارحة لأنه لم يتعلم كيف يوضح ما يزعجه. فندربه في وقت هادئ على عبارات بسيطة، مثل: «أزعجني هذا الكلام»، أو: «لم أفهم المطلوب»، أو: «أحتاج إلى المساعدة»، أو: «أحتاج إلى وقت قصير حتى أهدأ».

مثال: نمثل معه موقف اختلاف على الدور في لعبة، وندربه على قول: «لم يأت دوري بعد، أريد أن نلتزم بالترتيب». ثم نذكره بهذه العبارة عند حدوث موقف مشابه، حتى يتعلم استعمال الكلام الواضح بدل الصراخ أو الدفع.

◆ تقديم نموذج في ضبط الغضب

عادة يرى الولد كيف يتصرف المربي عند الغضب، ويتعلم من أفعاله إلى جانب توجيهاته.[٥٥] لذا ينبغي أن يكون المربي نموذجًا عمليًا، فقد روي

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما من عبد كظم غيظًا إلا زاده الله عز وجل عزًا في الدنيا والآخرة».[٥٦] فإمساك المربي عن الإهانة والاعتداء عند غضبه يحفظ حق الولد، ويعلمه أن الحزم يمكن أن يجتمع مع ضبط النفس. ولذلك وجب أن نراجع نبرة صوتنا وكلماتنا وتصرفاتنا، ونؤجل المناقشة إذا خشينا أن نتجاوز فيها، مع إيقاف الأذى فورًا إن وجد.

مثال: يغضب المربي من تصرف ولده، فيقول: «سأهدأ قليلًا، ثم نتحدث عما حدث». وبعد هدوئه يعود إلى الموضوع ويعالجه. وإذا رفع صوته أو قال كلامًا جارحًا، يعتذر عن تجاوزه، مع بقاء التوجيه المتعلق بخطأ الولد.

◆ مساعدته على الهدوء ثم إصلاح الخطأ

عندما يشتد غضب الولد، نوقف الأذى أولًا، ونساعده على الهدوء بكلام قليل وواضح، وقد نتيح له استراحة قصيرة في مكان آمن. وبعد هدوئه نناقش ما حدث، ونعلمه بديلًا مناسبًا، ونطلب منه إصلاح ما يستطيع إصلاحه.

مثال: تصعب عليه مسألة فيمزق ورقته. نمنع إتلاف بقية الأدوات، ثم نقول بعد هدوئه: «أرني أين صعبت عليك المسألة». نساعده على فهمها، ونعلمه أن يطلب الشرح بدل تمزيق الورقة، ويشارك في جمع ما مزقه وإعادة العمل المناسب لقدْرته.

فالهدوء يساعده على الاستماع والتفكير، لكنه لا يغني عن تعلم التصرف الصحيح وإصلاح أثر الخطأ.

◆ فهم المواقف التي يتكرر فيها الانفعال

إذا تكرر الغضب، نلاحظ متى يحدث، وما الذي يسبقه، وكيف نتصرف بعده. فقد تظهر الصعوبة عند الانتظار أو الخسارة أو التعب أو عدم فهم المهمة. وتساعدنا هذه الملاحظة على اختيار ما نعلمه للولد، دون التسرع في تشخيصه أو وصفه بأنه عصبي أو سيئ الخلق.

مثال: نلاحظ أنه يدفع اللعبة كلما خسر. فنصف ما حدث بدقة، وندربه قبل اللعب على التصرف عند الخسارة؛ كأن يهنئ الفائز، ويطلب استراحة إذا اشتد ضيقه، ثم نتابع تحسنه مع التدريب.

وإذا استمر انفعال شديد يؤثر في تعلمه أو علاقاته أو سلامته، نتعاون مع المدرسة ونطلب المساعدة المختصة عند الحاجة، دون وصمه أو تأخير ما يحتاج إليه من دعم.

ولا يكفي أن نطلب منه الصبر مرة واحدة، بل نعينه على التدرب عليه في المواقف المتكررة. وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وعود نفسك التصبر على المكروه، ونعم الخلق التصبر في الحق».[٥٧] فنبدأ بما يستطيع احتماله من انتظار وصعوبة، ونذكره بما تعلمه، ونقدر تحسنه، حتى يكتسب قدرة أفضل على ضبط تصرفه.

◆ تقديم الدعم دون تهديد بالمحبة

نوضح للولد أن رفضنا لسلوكه المؤذي لا يعني رفضنا له، ونتجنب إذلاله أو تهديده بالتخلي عنه أو بحرمانه من محبتنا. ونستمر في تعليمه ومتابعته، مع حدود واضحة تحميه وتحمي الآخرين.

وتشير دراسة تابعت ٢٨٤ تلميذًا من الصف الثالث إلى الخامس إلى ارتباط دعم الوالدين بتحسن تنظيم الانفعال لدى الأطفال الذين أبلغوا عن مستويات أقل من التحكم النفسي، مثل الإشعار بالخزي أو سحب المحبة.[٥٨]

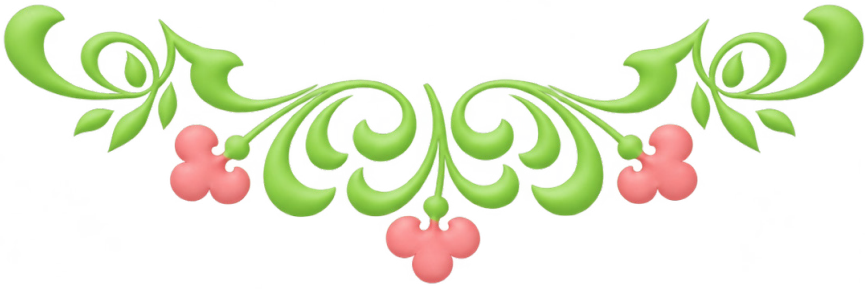
مثال: إذا ضرب أخاه، فلا نقول: «لن أحبك بعد اليوم»، بل نقول: «أنا أحبك، والضرب ممنوع. سنتأكد من سلامة أخيك، ثم نساعدك على معالجة ما حدث والتعبير عن غضبك بطريقة أخرى».

أما الإجراءات العقابية وضوابطها الشرعية والتربوية، فيأتي تفصيلها في فصل التأديب.



الفصل الثالث:

الخصائص الاجتماعية



تتسع علاقات الولد في مرحلة الطفولة المتأخرة، فيتعامل مع معلمين وزملاء وأصدقاء، ويشارك في أنشطة تختلف عما اعتاده داخل أسرته. وتنمو رغبته في تكوين صداقات واختيار بعض أنشطته باستقلال أكبر، ويزداد اهتمامه بالانتماء إلى جماعة ومكانته بين أقرانه، وقد يتأثر بآرائهم وتصرفاتهم، ويتألم من استبعاده أو السخرية منه. وتتيح له هذه العلاقات فرصًا لتعلم التعاون والمنافسة وتبادل الرأي ومراعاة حقوق الآخرين، مع استمرار حاجته إلى التوجيه والمتابعة.

وتظل الأسرة بيئته الاجتماعية الأولى؛ ففيها يتعلم كيف يستمع ويتحدث، ويطلب حقه ويحترم حقوق غيره، ويتعاون ويعالج الخلاف.[٥٩] ومع اتساع علاقاته، نواصل تعليمه ومتابعته، ونمنحه مجالًا للمشاركة والاستقلال يناسب عمره وقدرته.

المبحث الأول: اتساع الدائرة الاجتماعية ودخول المدرسة

تفتح المدرسة أمام الولد مجالًا أوسع للتعامل مع الآخرين، وتضعه في مواقف يحتاج فيها إلى المشاركة والانتظار والتعاون واحترام القواعد. وقد يكون عرف بعض هذه المواقف في الروضة، لكنها تتنوع وتزداد مسؤولياته فيها مع تقدمه. ولمساعدته على حسن التعامل معها، نراعي الأمور الآتية:



قد تختلف قواعد التعامل في المدرسة عما اعتاده الولد في البيت، كما يلتقي أشخاصًا يختلفون عنه في لغتهم وعاداتهم وخبراتهم. فنشرح له ما يحتاج إلى معرفته، ونعلمه احترام الآخرين وحسن التعامل معهم، قد سئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن التعامل مع القوم والخلطاء من الناس، فقال: «تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم».[٦٠]

مثال: اعتاد استعمال بعض الأدوات في البيت متى احتاج إليها، ثم وجد في المدرسة أدوات مشتركة بين التلاميذ. نوضح له أنه يستطيع استخدامها، لكن عليه انتظار دوره، والمحافظة عليها، وإعادتها ليستفيد منها غيره.

ومثال آخر: يسمع زميلًا يتحدث بلهجة مختلفة، فيتعلم ألا يقلده بقصد السخرية، وأن يسأل بأدب إذا لم يفهم كلامه. ونبين له أن اختلاف الناس لا يبيح إهانتهم، مع تعليمه الالتزام بدينه وآدابه.

◆ تيسير المشاركة وبناء العلاقات

نساعد الولد على التعارف والمشاركة، ونراعي أن بعض الأبناء يبادرون بسهولة، بينما يحتاج آخرون إلى وقت وتشجيع. ولا نشترط أن يكون كثير الكلام أو صديقًا للجميع؛ بل نهتم بأن يجد علاقات مناسبة يشعر فيها بالقبول والاحترام.

مثال: يريد الانضمام إلى نشاط، لكنه لا يعرف كيف يبدأ. نتدرب معه على قول: «هل يمكن أن أشارككم؟»، أو: «ما المهمة التي أستطيع مساعدتكم فيها؟». وبعد النشاط نستمع إلى تجربته، ونساعده فيما صعب عليه.

وإذا كان قليل الأصدقاء لكنه مرتاح ويشارك فيما يناسبه، فلا نحرجه بالمقارنة بغيره. أما إذا كانت عزلته تؤلمه أو تمنعه من المشاركة التي يرغب فيها، فنحاول فهم السبب ومساعدته.

◆ تعليمه الحقوق والقواعد المشتركة

يتعلم الولد أن له حقوقًا يحسن المطالبة بها، وأن للآخرين حقوقًا يجب احترامها؛ فله أن يأخذ دوره، وعليه أن ينتظر إذا كان الدور لغيره، وله أن يعبر عن رأيه، وعليه أن يستمع دون إهانة.[٦١]

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٦٢] وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه».[٦٣] فنشرح هذه المعاني بمواقف يعرفها؛ كحفظ الأدوات المستعارة، والصدق في اللعب، وعدم نشر عيوب الزملاء.

مثال: يطلب منه زملاؤه إخفاء مخالفة حتى يفوز فريقهم. نوضح له أن مساعدة الفريق تكون بالاجتهاد والالتزام، وأن الانتماء إليه لا يبرر الغش أو الاعتداء على حقوق الفريق الآخر. وندربه على قول: «أريد أن نفوز، لكن دون غش».

◆ تدريبه على آداب التعامل

لا يكفي أن نقول للولد: «كن مؤدبًا»، بل نوضح له كيف يظهر الأدب في كلامه وتصرفه، ونتيح له التدرب عليه. وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في بيان حسن الخلق: «تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن».[٦٤]

فنعوده السلام، والشكر، والاعتذار، وحسن الطلب، والإصغاء، ومراعاة الكبير والصغير، ونقدم له قدوة في تعاملنا.

مثال: يريد استعادة غرض أعاره لزميله، فنعلمه أن يقول: «أحتاج إلى غرضي الآن، أرجو إعادته»، بدل انتزاعه أو شتم صاحبه. وإذا لم يستجب زميله، يطلب المساعدة من المعلم؛ فالأدب لا يعني ترك حقه أو قبول الإساءة.

◆ متابعة تجربته والتعاون مع المدرسة

نخصص وقتًا للحديث عن يومه، ونطرح أسئلة تساعده على الوصف، مثل: «ما النشاط الذي أعجبك اليوم؟»، و«مع من شاركت؟»، و«هل حدث شيء أزعجك أو احتجت فيه إلى مساعدة؟». ونستمع دون تحويل الحديث إلى تحقيق أو لوم متواصل.

مثال: يخبرنا بأن زملاءه يمنعونه مرارًا من المشاركة ويسخرون منه. نسأله بهدوء عما حدث، ومتى يتكرر، ومن كان حاضرًا، ثم نتواصل مع المعلم أو الجهة المسؤولة لمعالجة الأمر ونتابع النتيجة.

ونعلمه كيف يطلب المساعدة ويحمي حقه، لكننا لا نترك له وحده مسؤولية إيقاف أذى متكرر يحتاج إلى تدخل الكبار.



المبحث الثاني: الأقران واختيار الصاحب الصالح

تؤثر الصحبة في كلمات الولد وعاداته وتصرفاته؛ فقد يجد في أصدقائه من يعينه على الخير، وقد يتعرض معهم لضغط يدفعه إلى مخالفة ما تعلمه. ولذلك نساعده على حسن الاختيار، ونتابع علاقاته، ونعلمه كيف يكون صديقًا حسنًا ويحمي نفسه من التأثير المؤذي.[٦٥] ولتحقيق ذلك، نراعي الأمور الآتية:



◆ توضيح أثر الصاحب في السلوك

نبين للولد أن الصديق قد يشجعه على تصرفات نافعة أو ضارة، وأن قربه من شخص وإعجابه به لا يعني موافقته على كل ما يفعله. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لا ينبغي للمرء المسلم أن يواخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذاب».[٦٦]

ونشرح هذا التوجيه بالحديث عن السلوك وأثره، دون استعماله لإهانة الأطفال أو إطلاق أحكام ثابتة عليهم.

مثال: يرافق ولدًا يكرر الكذب ويدعوه إلى إخفاء أخطائه. نوضح له أن هذه التصرفات تضعف الثقة، ونساعده على رفض المشاركة فيها، وتقليل المخالطة المؤذية، والبحث عن صحبة أفضل، مع بقاء الأدب في المعاملة.

ويمكن أن يكون تأثير الجماعة نافعًا أيضًا؛ فمشاركة أصدقاء في عمل خيري قد تشجعه على المساعدة. وتشير دراسة تجريبية إلى تأثر تقديرات الأطفال والناشئة لاستعدادهم للمساعدة بما عرض عليهم من تقديرات الآخرين، لكنها لا تثبت أن التأثر يتحول حتمًا إلى عمل.[٦٧]

◆ تعليمه علامات الصداقة الجيدة

يحتاج الولد إلى معايير واضحة، فلا يحصر اختياره في امتلاك الصديق ألعابًا كثيرة، أو تفوقه في نشاط يحبه. فنوجه نظره إلى الصدق، والأمانة، واحترام الحقوق، وحسن التعامل عند الاختلاف، والاستعداد للاعتذار والإصلاح. وقد بين الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ علامات للصداقة، منها: «أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة»، ومنها: «أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال»، ومنها: «أن لا يسلمك عند النكبات».[٦٨]

مثال: يقول: «أحبه لأنه يعطيني ألعابه». نسأله: «وهل يحترمك إذا رفضت طلبًا؟ وهل يحافظ على أغراضك؟ وكيف يعاملك عندما تختلفان؟». فنساعده على النظر إلى العلاقة في مواقف متعددة.

ولا نحكم على الصديق من خطأ عارض، بل ننتبه إلى تكرار السلوك، وقبوله للنصح، ومحاولته إصلاح الخطأ.

◆ تدريبه على أن يكون صديقًا حسنًا

كما نعلم الولد اختيار الصاحب، نعلمه أداء حقوق الصداقة؛ فيصدق مع صاحبه، ويحفظ أغراضه وخصوصيته، ويساعده، وينصحه بأدب، ويقبل اعتذاره إذا أخطأ وأصلح. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كن له ظهرًا؛ فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه».[٦٩]

مثال: يغيب صديقه بسبب المرض، فيرسل إليه رسالة طيبة، ويساعده، بإشراف مناسب، على معرفة الواجبات التي فاتته.

ومثال آخر: يخطئ صديقه أثناء اللعب ثم يعتذر، فنشجعه على قبول الاعتذار ومواصلة اللعب باتفاق واضح على القواعد. أما إذا تكرر الأذى، فنعلمه أن العفو لا يمنعه من حماية نفسه وطلب المساعدة.

◆ تدريبه على رفض ضغط الأصدقاء

قد يعرف الولد أن التصرف خاطئ، لكنه يخشى أن ترفضه المجموعة إذا لم يشارك فيه. ولذلك ندربه على ردود قصيرة وواضحة، وعلى الابتعاد وطلب المساعدة عند الحاجة.

مثال: نمثل معه موقفًا يقول فيه زميل: «اسخر منه معنا حتى تبقى في فريقنا». فيتدرب على قول: «لن أشارك في إيذائه»، أو: «يمكننا اللعب دون سخرية». وإذا استمر الضغط، يترك الموقف ويرجع إلى المعلم أو المربي.

ونوضح له أن إخبار شخص مسؤول بأذى يحتاج إلى تدخل يختلف عن نشر عيوب الآخرين بقصد التشهير؛ فالغرض هنا الحماية وإيقاف الضرر.

المبحث الثالث: القدوة الحسنة والمثل الأعلى

يتعلم الولد من الأشخاص الذين يراهم ويخالطهم ويتابعهم، فيلاحظ أقوالهم وتصرفاتهم، وقد يعجب بهم ويحاول تقليدهم. ولذلك نحتاج إلى تقديم قدوة حسنة، وربطه بالنماذج الصالحة، وتعليمه أن يختار ما يقتدي به عن فهم. ونراعي في ذلك الأمور الآتية:



◆ تجسيد القيم في المعاملة اليومية

يزداد وضوح المعاني التي نعلمها حين يراها الولد في سلوكنا.[٧٠] وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية».[٧١]

فنلتزم بما ندعوه إليه من صدق وأمانة واحترام، ونبين له ذلك في المواقف المناسبة دون إكثار من الوعظ.

مثال: يجد المربي خطأ في الحساب لصالحه، فيطلب تصحيحه، ويقول لولده: «هذا المال ليس من حقنا، ولو لم ينتبه صاحبه». فيرى الولد الأمانة عملًا، إلى جانب معرفته معناها.

◆ تقديم نموذج في الاعتراف بالخطأ وإصلاحه

القدوة الحسنة لا تعني ادعاء المربي أنه لا يخطئ؛ بل تقتضي أن يراجع تصرفه، ويعتذر إذا أساء، ويصلح ما يستطيع إصلاحه. فقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه».[٧٢] فإذا علمنا الولد الاعتراف بالخطأ وإصلاحه، كان اعترافنا بتقصيرنا وإصلاحنا له تطبيقًا لما ندعوه إليه.

مثال: يعد ولده بوقت يقضيه معه، ثم ينسى الموعد. يعترف بذلك، ويعتذر، ويتفق معه على وقت بديل يلتزم به. فيتعلم الولد أن الوفاء مهم، وأن التقصير يحتاج إلى معالجة، لا إلى إنكار أو تبرير دائم.

◆ ربطه بسيرة النبي وأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ

نختار من سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ مواقف موثقة، ونشرحها بلغة مناسبة، ونساعد الولد على فهم ما يتعلمه منها وكيف يعمل به، فيتعرف إلى النماذج الصالحة ويقتدي بها[٧٣]، استجابةً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[٧٤] ونلتزم بما ورد في المصدر، دون إضافة أقوال أو تفاصيل ننسبها إليهم بغير دليل.

مثال: نحدثه عن عناية النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ بالسلام على الصبيان؛ فقد روي عنه ضمن أمور كان يحافظ عليها: «وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي».[٧٥] ونوضح له أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ كان يبادر الصغار بالسلام، ثم نشجعه على الاقتداء به في السلام وحسن استقبال الآخرين. وهكذا يرتبط التعرف إلى سيرته بعمل يستطيع الولد ممارسته.

◆ مساعدته على تقييم الشخصيات التي يعجب بها

قد يعجب الولد بلاعب أو مقدم محتوى أو شخصية مشهورة. نستمع إلى سبب إعجابه، ثم نعلمه التفريق بين امتلاك الشخص مهارة معينة وبين صحة جميع أقواله وتصرفاته.

مثال: يعجب بلاعب ماهر يسيء إلى منافسيه. نوضح له: «يمكن أن تستفيد من مهارته الرياضية، لكن الإساءة إلى الآخرين تبقى خطأ». ثم نساعده على اختيار ما يتابعه وما يقلده. وبذلك لا تصبح الشهرة معيارًا للصواب، ولا نحتاج إلى السخرية من اهتمامه حتى نعلمه حسن التقييم.

ونوجه نظره إلى الصدق والأمانة وحسن المعاملة، فلا يكتفي بالمظهر أو الشهرة في الحكم على الأشخاص. وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده؛ فإن ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته».[٧٦] فنشرح له أن المقصود ألا نكتفي بالمظهر في تقييم الإنسان، وأن ننظر أيضًا إلى صدقه وحفظه لحقوق الناس، مع بقاء منزلة الصلاة وأهميتها.

◆ العناية بالنماذج المحيطة به

نحرص، بحسب الإمكان، على اختيار الأنشطة والبيئات التي تقدم نماذج صالحة، ونتعاون مع المعلمين والمشرفين ومن يشاركنا التربية. وإذا رأى الولد تصرفًا يخالف ما تعلمه، نستمع إلى سؤاله، ونوضح المعيار الصحيح دون تبرير الخطأ لمكانة صاحبه.

مثال: يسمع شخصًا يحث على احترام الآخرين ثم يسخر من أحدهم. نوضح له أن التوجيه إلى الاحترام صحيح، وأن السخرية تخالفه، وأننا نقيس التصرف بالقيمة التي تعلمناها، ولا نجعل مكانة الشخص سببًا لقبول إساءته.

المبحث الرابع: المتابعة التربوية وتنمية الرقابة الذاتية

يحتاج الولد إلى متابعة تعين المربي على معرفة أحواله وعلاقاته وما يواجهه من صعوبات، وإلى تعليم يساعده على اختيار الصواب حين لا يكون المربي حاضرًا. وتجمع التربية بين الأمرين؛ فنوجهه ونحميه، وندربه تدريجيًا على تحمل المسؤولية ومراجعة تصرفاته. ولتحقيق ذلك، نراعي الأمور الآتية:



◆ معرفة أحواله وعلاقاته

نتعرف إلى الأماكن التي يذهب إليها، والأشخاص الذين يقضي معهم وقته، والأنشطة التي يشارك فيها، بما يناسب عمره وحاجته إلى الحماية.[٧٧] ونجعل هذه المتابعة جزءًا من اهتمام يومي وحوار مألوف، فلا يقتصر سؤالنا عنه على وقت وقوع المشكلات.

مثال: قبل زيارته صديقًا، نتعرف إلى أسرته، ونتأكد من الترتيبات المناسبة، ونتفق على وقت العودة وكيف يتواصل معنا عند الحاجة. وبعد الزيارة نستمع إلى ما فعله وما أعجبه، ونتيح له إخبارنا بما أزعجه دون استجواب أو اتهام.

◆ حسن استقبال مصارحته

إذا أخبرنا الولد بخطأ ارتكبه أو بموقف أقلقه، نستمع إليه، ونقدر إخباره، ثم نعالج ما حدث. فلا نجعل المصارحة سببًا لإهانته، ولا يعني تقدير صدقه إعفاءه من إصلاح خطئه.

مثال: يخبرنا بأن أصدقاءه عرضوا عليه محتوى غير مناسب. نقول: «أحسنت بإخبارنا»، ثم نتعرف بهدوء إلى ما حدث، ونعلمه كيف يرفض المشاهدة ويغادر الموقف ويطلب المساعدة، ونراجع ما يحتاج إليه من حماية.

وتشير دراسة شملت ٧٠٣ من الناشئة بعمر الرابعة عشرة وأولياء أمورهم إلى أن قدرًا مهمًا من معرفة الوالدين بأحوال أبنائهم جاء من إخبار الأبناء لهم طوعًا.[٧٨] وهذا يدعم العناية بعلاقة تشجع المصارحة، مع استمرار مسؤولية المربي في الإشراف والحماية.

◆ التدرج من التذكير إلى تحمل المسؤولية

نعلم الولد سبب القاعدة وطريقة تطبيقها، ثم نخفف التذكير كلما تحسن أداؤه، حتى يتعلم المبادرة ومتابعة نفسه، بدل أن ينتظر أمرًا في كل مرة.[٧٩]

مثال: نذكره في البداية بإعادة الأدوات إلى مكانها بعد استعمالها، ثم نتفق معه على أن يراجع المكان بنفسه قبل مغادرته. وبعد أن يعتاد ذلك، نكتفي بالمتابعة بين حين وآخر. وإذا نسي، نساعده على معرفة ما يعينه على التذكر، دون العودة إلى القيام بالمهمة عنه دائمًا.

ونزيد مسؤوليته بحسب قدرته، مع بقاء المساعدة متاحة فيما لم يتقنه بعد؛ فلا نطالبه بالاستقلال في عمل لم يتعلمه، ولا نحمله ما يعجز عنه. وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في إعانة الولد على البر: «يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به».[٨٠] فنراعي استطاعته أثناء تدريبه على المسؤولية، ونعينه على تجاوز الصعوبة دون أن نقوم بأعماله عنه دائمًا.

◆ تنمية مراقبة الله ومحاسبة النفس

نعلم الولد أن الله مطلع على أعمالنا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾.[٨١] وأن الصدق والأمانة وحفظ الحقوق مطلوبة في السر والعلن. ونربط ذلك بمحبة الله وطاعته ورجاء رضاه، دون تهديدات مختلقة أو تخويف مبالغ فيه.

مثال: يجد غرضًا ضائعًا ولا يراه أحد، فنوضح له أن غياب الناس لا يجعل الغرض ملكًا له، وأن الأمانة تقتضي تسليمه إلى المسؤول ليساعد على إعادته إلى صاحبه.

وندربه على مراجعة تصرفاته بأسئلة بسيطة: «ما الذي أحسنت فيه اليوم؟ وهل أخطأت في حق أحد؟ وكيف تصلح ذلك؟». فإذا تذكر إساءة إلى أخيه، نساعده على الاعتذار ورد الحق؛ فتقوده المراجعة إلى عمل يصلح به الخطأ.

◆ الجمع بين احترام الخصوصية والحماية

نوضح للولد حدود الخصوصية وقواعد الزيارات والأنشطة واستخدام الأجهزة، ونراجعها مع تقدمه في العمر. ونحترم مساحته الشخصية، مع اتخاذ ما يلزم لحمايته إذا ظهرت مؤشرات جدية على تعرضه للأذى.

مثال: نعلمه ألا يفتح رسائل إخوته أو ينشر صورهم دون إذنهم. وفي الوقت نفسه نبين له أنه إذا تلقى تهديدًا أو طلبًا يؤذيه، فعليه إخبار شخص بالغ موثوق، حتى لو طلب منه المرسل إبقاء الأمر سرًا.

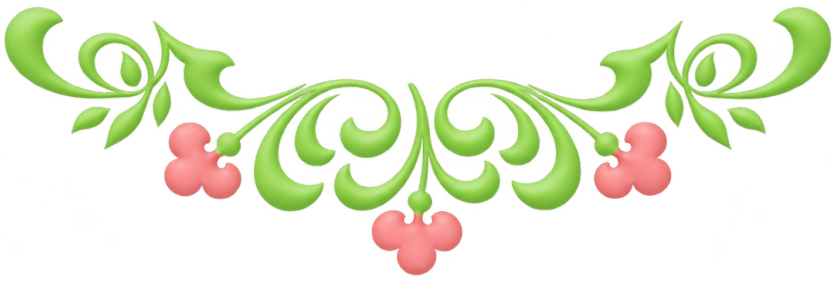
وإذا لاحظنا تغيرًا مقلقًا في علاقاته أو سلوكه، نستمع إليه ونتعرف إلى ما يمر به، ونتعاون مع المدرسة عند الحاجة، دون اتهامه اعتمادًا على علامة واحدة. وإذا استمرت صعوبة تؤثر في حياته أو سلامته، نطلب المساعدة المناسبة.





الفصل الرابع:

الخصائص الجسمية والحركية



يواصل جسم الولد نموه في مرحلة الطفولة المتأخرة، وتتحسن قدرته على أداء حركات تحتاج إلى القوة والتوازن والدقة، كالجري والقفز والكتابة واستعمال الأدوات والقيام ببعض الأعمال اليومية.

ويختلف الأولاد في بنيتهم وسرعة نموهم وإتقانهم للمهارات؛ فقد يتقدم أحدهم في نشاط، ويحتاج إلى تدريب أطول في غيره. ولذلك نلاحظ قدرة كل ولد، ونتيح له فرصًا مناسبة للتعلم والممارسة، مع المحافظة على سلامته وكرامته.

وتشمل العناية به توفير الحركة واللعب والتدريب النافع، إلى جانب الغذاء والنوم والراحة. ونتناول هنا النمو الجسمي والحركي وحاجاته، أما علامات البلوغ وأحكامه والتهيئة له فتأتي في الفصل الخامس.

المبحث الأول: النمو الجسمي واختلاف القدرات

يساعدنا التعرف إلى قدرة الولد على اختيار ما يناسبه من أعمال وأنشطة، ومعرفة ما يحتاج فيه إلى تدريب أو مساعدة. ولتحقيق ذلك، نراعي الأمور الآتية:



◆ ملاحظة قدرته الفعلية وعدم الاكتفاء بعمره

لا تعني مساواة ولدين في العمر أنهما يستطيعان أداء الأعمال نفسها بالقوة والسهولة نفسيهما. فنلاحظ بنية الولد، وقدرته على الحركة والتحمل، وخبرته بالعمل المطلوب.[٨٢] فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في إعانة الولد على البر: «يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به».[٨٣]

مثال: نطلب منه المساعدة في حمل بعض الأغراض، فنختار له ما يستطيع حمله بأمان، ونعلمه طلب المساعدة إذا ثقل عليه الغرض، دون مقارنته بغيره أو وصفه بالكسل.

ومثال آخر: يجيد الجري واللعب، لكنه يجد صعوبة في استعمال المقص. ندربه على هذه المهارة بأداة مناسبة وإشراف، ولا نعد تعثره فيها دليلًا على ضعف جميع قدراته.

◆ التفريق بين القوة وإتقان الحركة

قد يكون الولد قوي البنية، لكنه لم يتعلم الطريقة الصحيحة لأداء حركة معينة. ولذلك نتأكد من أنه يعرف كيف يؤدي العمل، وأنه حصل على فرصة مناسبة للتدرب، قبل أن نطالبه بإتقانه.

مثال: عند تعليمه التقاط الكرة، نبدأ بكرة خفيفة مناسبة ومن مسافة قصيرة، ونريه كيف يضع يديه لاستقبالها. ثم نزيد المسافة والصعوبة مع تحسن أدائه. وإذا تعثر، نراجع طريقة التعليم، بدل تكرار الطلب نفسه دون مساعدة. وتعين هذه الممارسة على تعلم الحركة والتنسيق بين النظر واليدين، وهو من الجوانب التي يسهم اللعب في تنميتها.[٨٤]

◆ احترام جسمه وحمايته من السخرية

نحفظ كرامة الولد عند الحديث عن طوله ووزنه وبنيته وقدراته، فلا نسمح بالتنابز أو السخرية، ولا نجعل مظهره أو تفوقه الرياضي مقياسًا

لقيمته. فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم».[٨٥] ومن إكرامه أن نحفظه من التعيير بطوله أو وزنه أو إعاقته، وأن نعلمه احترام أجسام الآخرين كما نطلب منهم احترامه.

مثال: يتجنب المشاركة لأن بعض زملائه يعلقون على جسمه. نوقف الإساءة، ونتعاون مع المشرف، ونساعده على المشاركة في نشاط مناسب، بدل مطالبته بتحمل السخرية أو الانسحاب من جميع الأنشطة.

وإذا كان لديه مرض أو إعاقة، نراعي توجيهات المختص، ونختار ما يناسب قدرته، ونقدر جهده وتقدمه.

◆ العناية بسلامة البدن والاستماع إلى شكواه

ورد في دعاء الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده: «وأصح لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم».[٨٦] يجمع الدعاء بين سلامة البدن والدين والأخلاق؛ فنعتني بهذه الجوانب معًا، ونعلم الولد المحافظة على جسمه وحسن الانتفاع بقوته.

مثال: يطلب التوقف أثناء نشاط لأنه يشعر بألم أو تعب غير معتاد. نستمع إلى شكواه، ونتوقف لمعرفة حاله، ولا نفسر طلبه مباشرة بأنه تهرب. وإذا تكرر الألم أو التعب، نطلب المشورة الطبية المناسبة.

المبحث الثاني: النمو الحركي والحاجة إلى النشاط واللعب

تتحسن المهارات الحركية بالممارسة المناسبة، ويتيح اللعب للولد فرصًا لتقوية جسمه وتعلم حركات جديدة والتعاون مع غيره.[٨٧] ولمساعدته على الانتفاع بهذه الفرص، نراعي الأمور الآتية:



◆ تنويع الأنشطة الحركية

نتيح أنشطة تنمي الحركات الكبيرة، كالجري والقفز والتوازن، وأخرى تنمي التحكم الدقيق في اليدين والأصابع، كالرسم وتركيب القطع وربط الأربطة والكتابة، فقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من حق الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة..».[٨٨]

مثال: يشارك في لعبة تتضمن الجري والتوازن، وفي وقت آخر ينجز عملًا يدويًا مناسبًا. ونتدرج في صعوبة النشاط، دون اشتراط أن يتفوق في جميع الأنشطة.

◆ تخصيص وقت للحركة واللعب

لا تنتهي حاجة الولد إلى اللعب بدخوله المدرسة أو تجاوزه السابعة، بل يحتاج إلى تنظيم يومه بما يتيح التعلم والحركة والعبادة والنوم والراحة.

وقد يشارك المربي ولده بعض اللعب والملاطفة؛ فتكون المشاركة فرصة للأنس والتعلم. وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من كان له ولد صبا»[٨٩]. أي يلاطف ولده ويشاركه ما يلائم طفولته، مع بقاء التوجيه ومراعاة السلامة.

مثال: يعود من المدرسة بعد ساعات من الجلوس، فنرتب له فرصة مناسبة للحركة، كالمشي النشط أو اللعب في مكان آمن، ثم ينتقل إلى أعماله الأخرى.

ونحافظ على هذا الوقت ضمن تنظيم يومه، فلا يلغى دائمًا بكثرة المطالب، ولا يمتد حتى يطغى على واجباته وراحته.

◆ تعليم حدود الحركة واللعب

نعلم الولد أن لكل نشاط مكانًا وطريقة وقواعد تحميه وتحمي من حوله. ونوضح له البديل المناسب عندما نمنع حركة خطرة، بدل الاكتفاء بتكرار: «لا تتحرك» أو «لا تلعب».[٩٠]

مثال: يركض في غرفة ضيقة فيها أشياء قابلة للكسر، فنوقف الركض ونوجهه إلى مكان مناسب، ونشرح له خطر الاصطدام أو إصابة أحد.

ومثال آخر: يدفع زملاءه أثناء اللعب، فنوقف الدفع، ونتأكد من سلامتهم، ثم نعلمه كيف يشارك دون اعتداء، ونطلب منه إصلاح ما ترتب على تصرفه.

◆ فهم كثرة الحركة مع متابعة ما يسبب صعوبة

ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تستحب عرامة الصبي في صغره ليكون حليمًا في كبره».[٩١] وقد فسّر المجلسي العرامة هنا بميل الصبي إلى اللعب؛ فيكون المعنى، على هذا التفسير، أن ميله إلى اللعب في صغره ليس مذمومًا في نفسه، وقد ربطت الرواية بينه وبين الحلم في الكبر، أي الأناة وضبط النفس.[٩٢]

وتشير بعض الدراسات إلى أن اللعب يساعد الطفل على اكتساب مهارات ضبط الانفعال والسلوك؛ فقد وجدت دراسة تابعت أطفالًا في مرحلة ما قبل المدرسة أن مشاركتهم في اللعب الحركي ارتبطت بقدرة أفضل على التعامل مع مشاعرهم بعد سنة.[٩٣]

إذن ينبغي أن نتيح للولد اللعب والنشاط المناسبين، ولا نطالبه بالسكون الدائم، مع تعليمه قواعد السلامة ومنعه من إيذاء الآخرين.

مثال: يحب الجري والقفز، فنخصص له مكانًا آمنًا ووقتًا مناسبًا، ونعلمه التوقف عند احتمال الاصطدام بغيره. وإذا دفع زميله، نوقف الدفع ونعلمه المشاركة دون اعتداء؛ فإتاحة اللعب تجتمع مع تعليمه حسن التصرف.

◆ تعليمه مهارات عملية نافعة

روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «علموا أولادكم السباحة والرماية».[٩٤]

فنعتني بتعلم المهارات العملية النافعة، ونختار التدريب الذي يناسب عمر الولد وقدرته وظروفه. وتكون الأنشطة التي تحتاج إلى احتياطات خاصة، كالسباحة والرماية، في بيئة مأمونة وتحت إشراف مؤهل، مع مراعاة الضوابط الشرعية.

مثال: نختار معه نشاطًا مناسبًا يستطيع الاستمرار عليه، ونتعرف إلى شروط السلامة فيه، ثم نتابع التزامه وتقدمه. ونقدر تعلمه وجهده، دون جعل الفوز بالمسابقات شرطًا لاستمرار مشاركته.

◆ جعل النشاط عادة متوازنة وممتعة

نساعد الولد على ممارسة الحركة بانتظام، وننوعها بين اللعب والمشي والدراجة والرياضة المناسبة، حتى يجد ما يستمتع به ويمكنه الاستمرار عليه.

مثال: نتفق على المشي إلى مكان قريب حين تكون الطريق آمنة والظروف مناسبة، أو نخصص وقتًا للعب الحركي مع الأسرة، بدل حصر النشاط في حصة رياضية متباعدة.

وتشير مراجعة علمية شملت ٢١ دراسة إلى أن برامج النشاط البدني ساعدت على خفض أعراض الاكتئاب لدى الأطفال والمراهقين المشاركين.[٩٥] وهذا يدعم الاهتمام بالحركة ضمن العناية المتكاملة، دون اعتبارها علاجًا كافيًا لجميع الصعوبات النفسية.

وينبغي أن نربط العناية بالجسم بحسن استعمال قوته في العبادة والأعمال النافعة، فلا تنحصر قيمة النشاط في التفوق على الآخرين. وقد ورد في دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قو على خدمتك جوارحي»[٩٦]. فنسأل الله القوة، ونعلم الولد أن ينتفع بها في طاعته ومعاونة غيره.

المبحث الثالث: الحاجات الصحية والسلامة

يحتاج نمو الولد إلى عادات يومية تحفظ صحته، وبيئة تتيح له النشاط والراحة بأمان. ويتعلم هذه العادات بالتوضيح والممارسة والمتابعة، حتى يصبح أقدر على العناية بنفسه وطلب المساعدة عند الحاجة. ولتحقيق ذلك، نراعي الأمور الآتية:



◆ تنظيم النوم والراحة

النوم من حاجات الجسم التي نعتني بها؛ فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل».[٩٧] فننظم يوم الولد بما يحفظ نصيبه من النوم والراحة، ولا نترك اللعب أو استخدام الأجهزة أو كثرة المطالب الدراسية تطغى عليهما.

ولمعرفة مقدار النوم المناسب لعمره، نستعين بالتوصيات الصحية؛ إذ توصي مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها بنوم الأطفال من السادسة إلى الثانية عشرة من تسع إلى اثنتي عشرة ساعة يوميًا، ومن الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة من ثماني إلى عشر ساعات.[٩٨]

مثال: إذا كان عليه الاستيقاظ مبكرًا للمدرسة، نحدد وقتًا مناسبًا للنوم، ونبدأ الاستعداد له قبله بوقت كافٍ، فينهي استخدام الجهاز، ويجهز أغراضه، ويؤدي ما يحتاج إليه دون استعجال.

ونلاحظ راحته أثناء النهار؛ فإذا استمرت صعوبة النوم أو تكرر النعاس والتعب رغم إتاحة وقت كافٍ للنوم، نطلب المشورة الصحية.

◆ تعليمه الاعتدال والعادات الصحية

نعلّم الولد الاعتدال في الطعام والمحافظة على النعمة، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.[٩٩] مع توفير ما يحتاج إليه لنموه وصحته، دون تعييره بجسمه أو مقارنته بغيره. وندربه كذلك على النظافة الشخصية، والعناية بالأسنان، والمحافظة على أدواته الخاصة، وغسل اليدين فقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من غسل يده قبل الطعام وبعده عاش في سعة وعوفي من بلوى في جسده».[١٠٠]

مثال: نعلمه غسل يديه قبل الطعام وبعد استعمال المرحاض؛ فنريه الطريقة، ثم نتيح له تطبيقها ونتابع اعتياده عليها. وإذا أخطأ، نصحح له ما يحتاج إلى تصحيح، بدل الاكتفاء بقول: «اهتم بنظافتك».

◆ التدريب على قواعد السلامة

نختار الأدوات والألعاب المناسبة، ونتأكد من سلامة مكان النشاط. ونعلم الولد قواعد واضحة للطريق والرياضة والماء واستعمال الأدوات، مع بقاء الإشراف الذي يحتاج إليه.

مثال: قبل ركوب الدراجة، نتأكد من ملاءمتها وسلامتها، ونوضح له مكان الركوب وحدوده، ونعوده استعمال وسائل الحماية المناسبة. ثم نتدرب معه في مكان آمن قبل السماح له بمسؤولية أكبر.

ولا نعرضه لخطر حتى يتعلم منه؛ بل نشرح الخطر أو نقربه بنموذج مأمون، ونتأكد من فهمه لما ينبغي فعله.

◆ تعويده الإبلاغ عن الألم والإصابة

نعلم الولد أن يخبر المربي أو المشرف إذا أصيب أو شعر بألم أو تعب غير معتاد، وأن طلب المساعدة تصرف مسؤول. ونستقبل شكواه بجدية، دون سخرية أو اتهام مسبق بالتهرب.

مثال: يشعر بألم أثناء اللعب، فيخبر المشرف ويتوقف عن النشاط حتى يحصل على المساعدة المناسبة. ونشجعه على وصف ما يشعر به: أين الألم؟ ومتى بدأ؟ وهل وقع أو اصطدم بشيء؟

ولا نطالبه بأن يقرر بنفسه إن كانت الإصابة بسيطة أو تحتاج إلى علاج؛ بل نعلمه الإبلاغ، ويتولى المسؤولون عن رعايته تقدير حاجته إلى المساعدة الصحية.

◆ متابعة التغيرات وطلب المساعدة عند الحاجة

نلاحظ أحوال الولد من حين إلى آخر: هل ينام ويرتاح بصورة مناسبة؟ وهل يجد فرصًا للحركة؟ وهل يتقدم مع التدريب؟ وهل ظهرت صعوبة مستمرة أو تغير واضح في قدرته؟

وتكون الملاحظة محددة؛ فنقول: «أصبح يتعب في المشي الذي كان يؤديه بسهولة»، بدل وصفه بأنه كسول، أو: «ما زال يجد صعوبة في ربط حذائه رغم التدريب»، بدل الحكم عليه بأنه لا يتعلم.

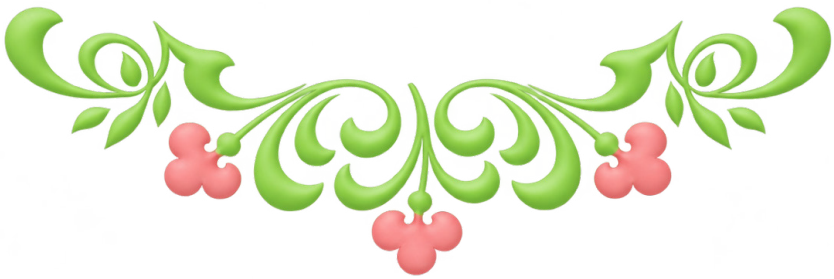
مثال: نلاحظ أنه يتوقف مرارًا أثناء نشاط كان يشارك فيه دون مشقة. نستمع إليه، ونتعرف إلى ما تغير، ونطلب المشورة الصحية إذا استمر الأمر، بدل زيادة الضغط عليه.

أما إذا كان يتحسن مع التدريب المناسب، فنواصل تشجيعه ونزيد الصعوبة تدريجيًا. وبذلك تساعدنا المتابعة على اختيار ما يحتاج إليه من تعليم أو راحة أو رعاية، مع احترام اختلاف قدراته عن غيره.



الفصل الخامس:

التمييز والبلوغ والتكليف



يتقدم الولد في مرحلة الطفولة المتأخرة في فهمه وقدرته على التعلم، وقد يتحقق خلالها بلوغه الشرعي، فتبدأ مسؤوليته عن أداء الواجبات وترك المحرمات. ولذلك يحتاج المربي إلى معرفة معنى التمييز، وعلامات البلوغ، وما يترتب على التكليف؛ حتى يحسن التعليم والتهيئة والمتابعة.

وهذه أمور متصلة، لكنها ليست بمعنى واحد؛ فقد يفهم الولد بعض الأحكام قبل بلوغه، وقد يبلغ وهو ما زال محتاجًا إلى المساعدة في تعلمها وتنظيم العمل بها. ونتناول هذه المعاني وآثارها في المباحث الآتية:

المبحث الأول: معنى التمييز ومعايير معرفته

يتقدم الولد في فهمه، فيصبح أقدر على إدراك معاني الأعمال التي يتعلمها والمواقف التي يمر بها. ويرتبط بهذا الفهم ما يسميه الفقهاء «التمييز»، وتترتب عليه أحكام خاصة. ولتوضيح معناه وكيفية التعرف إليه، نبين الأمور الآتية:



◆ المقصود بالتمييز وتنوع معاييره

يقصد بالتمييز إدراك الطفل للموضوع الذي يتعامل معه، وفهم معناه بالقدر المعتبر فيه، وليس مجرد قدرته على الكلام أو ترديد ما يسمعه.

وقد تنوعت عبارات الفقهاء في بيان معياره؛ فمنهم من ربطه بسن معينة، كالست أو السبع سنوات في بعض الموارد، ومنهم من عبر عنه بمعرفة الحسن والقبيح، ومنهم من أرجع تحديده إلى العرف، ومنهم من بين اختلافه بحسب الموضوع الذي يتعلق به الحكم.[١٠١]

ومن أمثلة ارتباطه بالسن قول العلامة الحلي، في تعليم الطفل الصلاة عند السابعة، إن هذا السن يحصل فيه التمييز من الصبي في العبادة.[١٠٢]

◆ معيار التمييز عند السيد السيستاني (دام ظله)

يبين السيد السيستاني أن المقصود بالصبي المميز غير البالغ الذي يدرك الشيء ويعقله، وأن هذا الإدراك يختلف باختلاف الموارد؛ فقد يفهم الطفل موضوعًا، ولا يفهم موضوعًا آخر بالقدر المطلوب فيه.[١٠٣]

وقد أوضح ذلك في كتابه «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، بما معناه: أن المميز في كل موضوع من موضوعات الأحكام هو من يملك فهم ذلك الموضوع والقدرة على تمييزه؛ فقد يكون الطفل مميزًا في موضوع، وغير مميز في موضوع آخر. ويقرب ذلك بمثالين: فهم الصلاة بوصفها عبادة وارتباطًا بالله تعالى، وفهم البيع والشراء بوصفهما مبادلة بين مالين.[١٠٤]

وعليه، فالمعيار الذي نعتمده هنا، وفق رأيه، هو فهم الطفل للموضوع المعين، ولا نصفه بأنه مميز في جميع الأمور لمجرد ظهور فهمه في أمر واحد.

◆ التعرف إلى تمييزه في الصلاة

بحسب بيان السيد السيستاني، يكون الطفل مميزًا في الصلاة حين يفهم أنها عبادة لله تعالى، ويفرق بينها وبين الحركات والأقوال المشابهة لها.[١٠٥]

فلا نكتفي بملاحظته يقلد الركوع والسجود، بل نتعرف إلى فهمه لما يفعله.

مثال: بعد تعليمه الصلاة، نسأله بهدوء: «لماذا نصلي؟ وما الفرق بين الصلاة وبين أن نحرك أجسامنا بالطريقة نفسها أثناء اللعب؟». ونستمع إلى المعنى الذي يعبر عنه بكلماته، دون اشتراط عبارة محفوظة أو شرح تفصيلي.

وهذا تطبيق مقترح لتقريب الضابط، وليس امتحانًا شرعيًا منصوصًا عليه. كما أن خطأه في القراءة أو نسيانه بعض الخطوات لا يعني وحده أنه لا يفهم معنى الصلاة.

◆ التعرف إلى تمييزه في البيع والشراء

يبين السيد السيستاني أن المميز في البيع يفهم أنه معاملة تقوم على المبادلة بين مالين.[١٠٦] فننظر إلى إدراك الطفل معنى المبادلة، ولا نخلط بينه وبين إتقان الحساب أو معرفة جميع أحكام المعاملات.

مثال: نعرض عليه موقفًا بسيطًا: «هذا الدفتر يباع بهذا المبلغ؛ ماذا يعطي المشتري، وماذا يأخذ؟ وهل أخذه على سبيل الشراء مثل استعارته ثم إعادته؟». فإذا فهم انتقال الدفتر إلى المشتري مقابل الثمن، فقد أظهر فهمًا لمعنى البيع. أما نسيان الباقي أو الخطأ في جمع الأرقام، فلا يكفي وحده للحكم بعدم تمييزه.

ومعرفة معنى البيع لا تعني الحكم بصحة جميع معاملاته؛ فتلك مسألة لها شروطها وأحكامها الخاصة.

◆ ملاحظة الفهم دون إحراج أو استعجال

نتعرف إلى فهم الولد بالحديث الهادئ وملاحظة تصرفه في مواقف مألوفة. ونفرق بين عدم فهم أصل الموضوع، وبين نسيان تفصيل، أو نقص التدريب، أو صعوبة التعبير.

مثال: قد يعجز عن شرح معنى الشراء بعبارة مرتبة، لكنه يوضحه عند

تمثيل دور المشتري والبائع. وقد يحفظ تعريف الصلاة، لكنه لا يفهم الفرق بينها وبين تقليد حركات المصلي. لذلك نجمع بين كلامه وتطبيقه، ونعلمه ما لم يفهمه، دون إحراجه أو الحكم عليه من إجابة واحدة.

وهذه وسائل تربوية تساعد على التعرف إلى فهمه، أما ترتيب الحكم الشرعي في مورد معين فيكون وفق ضابط ذلك المورد، ومع الاشتباه نرجع إلى الجهة الشرعية الموثوقة.

المبحث الثاني: آثار التمييز في العبادة والتعامل والستر



لا يتعلق التمييز بالتعلم وحده، بل ترتبط به أحكام في موارد متعددة. ولهذا ننتبه إلى الضابط الخاص بكل مورد، ونبين هنا أبرز ما يحتاج إليه المربي وفق فتاوى السيد السيستاني (دام ظله):

◆ التمييز في العبادة لا يعني وجوبها قبل البلوغ

يفهم الطفل المميز للصلاة أنها عبادة، ويفرق بينها وبين الحركات والأقوال المشابهة لها. فنستفيد من هذا الفهم في تعليمه الوضوء والصلاة وقصد التقرب إلى الله، دون اعتباره بالغًا لمجرد إتقانه الأداء.

وقد أوضح السيد السيستاني (دام ظله) في «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية» بما معناه أن الصلوات اليومية للطفل غير البالغ المميز مشروعة، بل مستحبة، وتكون صحيحة إذا أداها مستوفية لشروط الصحة.[١٠٧] فالتدريب يعينه على الاعتياد، ولا يمنع أن تكون صلاته عبادة صحيحة يتقرب بها إلى الله.

مثال: يصلي الصبي قبل بلوغه، فنعلمه أن يصلي لله تعالى بقصد التقرب إليه، ونشرح له الوضوء وأفعال الصلاة وأقوالها بالتدريج، ثم نساعده على تصحيح الخطأ. ولا نقول له إن صلاته مجرد حركات لا قيمة تعبدية لها، كما لا نجعل صحتها دليلًا على وجوبها عليه قبل البلوغ.

◆ فهم المعاملة لا يبيح جميع التصرفات المالية

قد يفهم الطفل معنى البيع والشراء، لكن هذا لا يعني استقلاله بجميع المعاملات. فإذا كانت المعاملة بماله، صحت في الأشياء اليسيرة التي جرت العادة بتصدي الصبي المميز لمعاملتها، بإذن وليه الشرعي. أما استقلاله بالمعاملة في ماله في غير هذه الأشياء، فلا يصح بمجرد إذن الولي.[١٠٨]

ويختلف ذلك عن شرائه لغيره بمال ذلك الشخص وبإذنه؛ فقد بيّن المصدر الفارسي صحة معاملة غير البالغ المميز لغيره بالوكالة أو الإذن، وفق التفصيل المذكور فيه.[١٠٩]

مثال: يشتري من مصروفه شيئًا يسيرًا جرت العادة بشراء الأطفال له، بإذن وليه. وقد تعطيه أمه مالها ليشتري لها خبزًا، فيكون شراؤه لها بإذنها. لكن نجاحه في هذين الأمرين لا يبيح له أن يبيع دراجته الثمينة من تلقاء نفسه؛ ففهم المعاملة لا يكفي وحده لصحة كل تصرف مالي.

◆ مراعاة أحكام العورة والخصوصية

للتمييز أثر في أحكام النظر إلى العورة والتستر عنها، ولا يصح التساهل فيها بحجة أن الولد لم يبلغ بعد. فيجب على المكلف ستر عورته عن الطفل المميز، كما تبتني حرمة النظر إلى عورة الصبي المميز على الاحتياط اللزومي، وفق التفصيل المذكور في «منهاج الصالحين».[١١٠]

مثال: عند الاستحمام أو تغيير الملابس، نوفر للولد مكانًا يحفظ خصوصيته، ونراعي أحكام الستر في تعاملنا معه، ولا نفترض أن عدم بلوغه يبيح النظر إلى عورته.

وإذا احتاج إلى مساعدة في التنظيف، نبحث عن طريقة تحقق حاجته مع مراعاة الستر، ونرجع إلى الحكم الشرعي عند الضرورة أو الاشتباه.

◆ تستر المرأة أمام الصبي غير المحرم

لا يكفي كون الصبي غير بالغ للحكم بعدم وجوب التستر أمامه؛ بل ننظر إلى تمييزه ومدى إدراكه. فإذا كان مميزًا وبلغ حدًا يمكن أن يثير نظره إلى المرأة غير المحرم شهوته، وجب عليها التستر عنه على الأحوط لزومًا.[١١١]

وقد أوضح كتاب: «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية» لسماحة السيد السيستاني (دام ظله) أن عليها، على نحو الاحتياط، ستر المواضع التي يحتمل أن يؤدي نظره إليها إلى إثارة شهوته.[١١٢]

مثال: عند حضور مناسبة نسوية لا تلتزم فيها النساء بالحجاب، لا نفترض جواز إدخال الصبي لمجرد أنه غير بالغ، بل نراعي الضابط الشرعي المذكور.

ولا نختبر هذا الأمر بتعريضه لصور أو مشاهد غير مناسبة، أو بدعوته إلى النظر؛ بل نحافظ على الستر، ونستفتي عند الاشتباه في تطبيق الحكم.

المبحث الثالث: معنى البلوغ وعلاماته الشرعية

تشهد مرحلة الطفولة المتأخرة بلوغ كثير من الأولاد (ذكورًا وإناثًا)؛ ولذلك يحتاج المربي إلى معرفة معنى البلوغ وعلاماته الشرعية، وتهيئة ولده لما يترتب عليه من مسؤوليات. ونوضح ذلك في النقاط الآتية:



◆ المقصود بالبلوغ

البلوغ مصطلح فقهي يعني الوصول إلى سن ومرحلة من الحياة يصبح فيها التكليف الشرعي متوجهًا إلى الفرد، ويلزم حينئذ بالامتثال للأحكام الشرعية، مع تحقق سائر شروط التكليف.[١١٣]

ولا يعني البلوغ اكتمال الخبرة في شؤون الحياة، أو الاستغناء عن التعليم والرعاية. كما أنه لا يساوي الرشد المالي؛ فقد يبلغ الولد، لكنه يحتاج إلى تعلم حفظ المال وحسن التصرف فيه. وقد جمع القرآن الكريم بين البلوغ والرشد عند بيان دفع أموال اليتامى إليهم، فقال تعالى:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.[١١٤]

مثال: تبلغ الفتاة سن التكليف، وتؤدي عباداتها، لكنها ما زالت تحتاج إلى مساعدة في تنظيم مصروفها. فنواصل تعليمها، ولا نجعل بلوغها وحده دليلًا على قدرتها على إدارة مسؤوليات مالية كبيرة.[١١٥]

◆ بلوغ البنت

وفق فتوى السيد السيستاني (دام ظله)، تبلغ البنت بإكمال تسع سنوات هلالية، أي بدخول السنة العاشرة القمرية، ولا يتوقف بلوغها على نزول الحيض.[١١٦] وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حد بلوغ المرأة تسع سنين».[١١٧]

ويعادل هذا العمر نحو ثماني سنوات ميلادية وثمانية أشهر وعشرين يومًا تقريبًا. وهذا التقريب يعين على معرفة الموعد، لكنه لا يغني عن حساب تاريخ البلوغ بدقة.

مثال: أكملت البنت تسع سنوات قمرية ولم تحض بعد؛ فتبدأ بالعمل بتكاليفها الشرعية، ولا نؤخر ذلك إلى نزول الحيض. ولهذا نعلمها قبل هذا الموعد ما تحتاج إليه من طهارة وصلاة وستر.

◆ بلوغ الصبي

يتحقق بلوغ الصبي بإحدى العلامات الآتية، وفق فتوى السيد السيستاني (دام ظله):

١. نبات الشعر الخشن على العانة، وهي المنطقة الواقعة بين البطن والعورة.

٢. خروج المني.

٣. إكمال خمس عشرة سنة هلالية.

٤. نبات الشعر الخشن في الخد وفي الشارب.[١١٨]

ولا يشترط اجتماع العلامات؛ فتحقق إحداها كافٍ. ويعادل إكمال خمس عشرة سنة هلالية نحو أربع عشرة سنة ميلادية وستة أشهر وخمسة عشر يومًا تقريبًا.

مثال: تحقق لدى صبي خروج المني في عمر الثالثة عشرة؛ فلا ينتظر إكمال الخامسة عشرة القمرية لبدء العمل بتكاليفه. ونعلمه هذه العلامة وما يحتاج إليه من أحكام الطهارة بهدوء، دون إحراج أو تفتيش لجسده.

◆ التفريق بين علامات البلوغ وسائر تغيرات الجسم

ليست زيادة الطول أو قوة الجسم أو غلظة الصوت أو ظهور شعر الصدر والإبط علامات شرعية للبلوغ. فقد يلاحظ الولد تغيرًا في جسمه، لكنه يحتاج إلى معرفة ما يثبت به البلوغ شرعًا، وما يعد من تغيرات النمو العامة فقط.[١١٩]

مثال: يتغير صوت الصبي، فيظن أنه بلغ. نوضح له أن تغير الصوت وحده لا يكفي، ونراجع معه العلامات المعتبرة، ونرجع إلى الجهة الشرعية عند الاشتباه. ولا نربط بلوغ ولد ببلوغ غيره؛ فقد يبلغ الصبي بعلامة قبل إكمال الحد العمري، ولذلك لا يكون الفارق بين بلوغ البنت والصبي ست سنوات في جميع الحالات.

المبحث الرابع: معنى التكليف والتهيئة لتحمل مسؤوليته

معرفة وقت البلوغ تحتاج إلى تعليم يسبقه ومساندة تستمر بعده؛ حتى يفهم الولد ما أصبح مسؤولًا عنه، ويعرف كيف يؤديه وإلى من يرجع عند السؤال. ونجمع في ذلك بين تعظيم طاعة الله، ووضوح الأحكام، والرفق في التعليم والمتابعة. ونوضح ذلك في النقاط الآتية:



◆ المقصود بالتكليف

المقصود بالتكليف هنا مطالبة الإنسان شرعًا بأداء الواجبات واجتناب المحرمات، عند تحقق شروط ذلك. فإذا تحقق البلوغ مع سائر شروط التكليف، لزم العمل بالأحكام المتعلقة بحال المكلف، ولا يبقى الأمر مجرد تدريب كما كان قبل البلوغ.[١٢٠]

ولا تقتصر المسؤولية على الصلاة والصيام؛ بل تشمل الصدق والأمانة، وحفظ حقوق الناس، واجتناب الغيبة والظلم وسائر المحرمات. فالإنسان لم يخلق عبثًا، وإنما خلقه الله تعالى لعبادته وطاعته، لينال رضاه ويسير في طريق الكمال؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١٢١]، وتتحقق هذه الطاعة بأداء الواجبات واجتناب المحرمات في مختلف شؤون الحياة.

مثال: نوضح للولد أن طاعة الله تظهر في صلاته، وفي حفظ مال أخيه، وفي كلامه مع زملائه؛ فلا ينفصل أداء العبادة عن حسن المعاملة.

◆ لماذا تُكلَّف الفتاة في سن أبكر من الفتى؟

قد يتساءل بعض المربين: لماذا تُكلَّف الفتاة في سن أبكر من الفتى؟

ونجيب عن ذلك بالنقاط الآتية:

١. أحكام الله قائمة على الحكمة والمصلحة

لا يشرع الله تعالى حكمًا إلا لحكمة ومصلحة تعود إلى المكلف أو إلى الناس؛ فهو الغني عن الجميع. ومن ذلك تحديد البلوغ وعلاماته، وإن لم نعرف حكمته التفصيلية. ولا نجزم بأن السبب تفوق إرادة الفتاة أو عقلها على الفتى دون دليل.

٢. التكليف تشريف ومسؤولية

التكليف تشريف للإنسان بخطاب الله، وفرصة لطاعته والتقرب إليه، وإن احتاج إلى جهد وصبر. ويمكن تقريب ذلك للفتاة فنقول:

«لو ظهر الإمام الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ واختارك لأداء مهمة نافعة، ألا تفرحين وتعتزين بهذه المسؤولية؟ فكيف وقد شرفك الله بخطابه، وأصبحت مسؤولة عن طاعته؟ استقبلي هذه المرحلة بالفرح والاستعداد، وسنساعدك على أداء واجباتك».

وهذا مثال لتقريب التشريف، لا للحكم بأنها أفضل من غيرها، ولا بأن تكليفها يسبق كل صبي بست سنوات.

٣. الشريعة تراعي القدرة والأعذار

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[١٢٢] فإذا مرضت الفتاة وكان الصوم يضرها، أفطرت وقضت بعد زوال العذر. وإذا استمر المرض إلى رمضان التالي، سقط قضاء الأيام التي فاتتها بسببه، ووجبت الفدية عن كل يوم.[١٢٣] أما استمرار الضعف وحده فليس له الحكم نفسه.[١٢٤] ولذلك نراعي حالتها وفق الحكم الشرعي، دون إسقاط الواجب لمجرد حداثة بلوغها أو تجاهل عذرها.

٤. لكل إنسان مسؤوليته

نعلم الفتاة ألا تربط التزامها بوقت تكليف غيرها؛ فلكل إنسان مسؤوليته أمام الله، والمهم أن يعمل بما يقربه إلى رضاه وكماله. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.[١٢٥]

◆ التعليم قبل وقت الحاجة

نبدأ بتعليم الطهارة والوضوء والصلاة والستر قبل البلوغ، ونتدرج في الشرح والممارسة بحسب فهم الولد وقدرته. وقد حثت الشريعة على تعويد الأطفال الصلاة قبل البلوغ؛ فروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا أبناء سبع سنين».[١٢٦] فنشرح لهم كيفية الوضوء والصلاة، ونعينهم على أدائهما بالتدريج، حتى يستعدوا للعمل بتكاليفهم عند البلوغ.

مثال: نراجع مع البنت صلاتها قبل موعد بلوغها، ونتأكد من معرفتها بالوضوء والقراءة والستر. وإذا لم تتقن أمرًا، نعلمها إياه ونكرر التدريب بهدوء.

ولا نصف صلاتها السابقة بأنها عديمة القيمة التعبدية؛ فصلاة غير البالغ المميز مشروعة ومستحبة، وتصح مع استيفاء شروطها. والفرق بعد البلوغ هو انتقالها إلى الوجوب عند تحقق شروطه.[١٢٧]

◆ شرح التغيرات مع حفظ الخصوصية

نشرح للولد ما يحتاج إلى معرفته من تغيرات جسمه وأحكامها، بلغة واضحة ومؤدبة، وفي حديث خاص يتيح له السؤال. ونختار من يتولى الشرح بحسب الثقة والقدرة؛ فيمكن أن تتولى الأم تعليم ابنتها، والأب تعليم ابنه، أو غيرهما ممن يصلح لذلك عند الحاجة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.[١٢٨]

مثال: تشرح الأم لابنتها معنى الحيض وكيف تسأل عن حكمه، ويشرح الأب لابنه معنى الاحتلام وما يحتاج إليه من طهارة. ولا نطلب منهما إعلان هذه الأمور أمام الأسرة، ولا نجعلها مادة للمزاح أو المقارنة.

ويمكن الاستعانة بكتاب مناسب بعد مراجعته، مع الفصل بين تغيرات النمو العامة وعلامات البلوغ الشرعية، دون تكرار جميع العلامات في تمارين متعددة.

◆ توضيح معنى البلوغ بتطبيقات تربوية

نستعين بتطبيقات بسيطة تقرب للولد معنى البلوغ ومسؤوليته، ومن أمثلتها أن نسأله في جلسة هادئة: «ماذا يعني أن أكون بالغًا؟»، ونساعده على الإجابة، ثم نربط كل معنى بتطبيق:

- «يعني أنني أصبحت مسؤولًا عن أداء واجباتي واجتناب المحرمات».

فيذكر واجبًا يحتاج إلى تنظيم وقته لأدائه، كالصلاة، ونتفق على ما يساعده.

- «يعني أنني أراقب كلامي وتصرفاتي، ولو لم يرني أحد».

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾.[١٢٩] فيختار تصرفًا يراجعه، كالصدق أو حفظ أمانة.

- «يعني أنني أتعلم الصبر على الطاعة وترك المعصية وتحمل البلاء».

وقد روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية».[١٣٠] فنطلب منه مثالًا يفهمه، كالصبر على أداء الصلاة، أو الامتناع عن مشاركة زملائه في السخرية.

- «يعني أنني إذا أخطأت، أتوب وأتعلم كيف أصلح خطئي».

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾[١٣١]، فيتعلم أن الخطأ لا يبرر اليأس، وأن التوبة تقترن برد الحقوق وإصلاح الضرر بحسب ما يلزمه.

وفي نهاية التمرين يختار عملًا واحدًا يبدأ بتحسينه، وخطوة عملية تساعده عليه؛ حتى يتحول الحديث عن المسؤولية إلى ممارسة.

◆ استقبال التكليف بالمساندة واستمرار الرعاية

يمكن الاحتفاء بالبلوغ بطريقة مباحة تناسب الأسرة، كهدية نافعة أو مشاركة في برنامج موثوق للمكلفين الجدد. لكن الاحتفاء لا يغني عن التعليم والمتابعة، والبلوغ لا ينهي حاجة الولد إلى الرعاية.

وقد ورد في حق الولد عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته».[١٣٢] فالمربي يعلمه ويعينه، ولا يكتفي بمطالبته.

مثال: يصعب عليه الاستيقاظ للصلاة، فنراجع وقت نومه، ونتفق على وسيلة لإيقاظه، ونساعده على الالتزام. وإذا اشتبه عليه حكم، نعلمه

الرجوع إلى مصدره الصحيح.

وإذا عرض مرض أو عجز، نراجع حكمه الخاص؛ فليس كل عذر يسقط الواجب نهائيًا، وقد تتغير كيفية أدائه أو يجب قضاؤه. ولا نعمم حكم استمرار المرض إلى رمضان آخر على مجرد استمرار الضعف؛ فلكل منهما تفصيله.[١٣٣]





الباب الثاني:

التأديب في مرحلة الطفولة المتأخرة

بعد التعرف إلى خصائص مرحلة الطفولة المتأخرة ومتطلبات تربيتها، ننتقل إلى التأديب؛ لنبين معناه ومكانته، وكيف يعين المربي ولده على اكتساب السلوك الصالح وتصحيح الخطأ. فالتأديب مسؤولية يومية تشمل التعليم والتدريب والقدوة والمتابعة، وتدخل العقوبة ضمن وسائله عند الحاجة، بحسب ضوابطها الشرعية والتربوية.

ويبدأ هذا الباب بتوضيح معنى التأديب وأهميته، ثم يتناول العقوبة وضوابط استخدامها ووسائلها، ويفرد للعقوبة البدنية وحدودها فصلًا خاصًا، وينتهي بالتربية الوقائية وتنمية الرقابة الذاتية؛ حتى يعرف المربي ما يعلمه لولده، وكيف يتعامل مع خطئه، وما الحدود التي تحفظ حقه وكرامته.

الفصل الأول:

التأديب ومعناه وأهميته

التأديب من مسؤوليات المربي التي تحتاج إلى فهم وعمل؛ فقد يكثر توجيهه، لكنه لا يدرب الولد على ما يطلبه، وقد يعالج الخطأ بعد وقوعه دون أن يهيئ أسباب الوقاية منه. ولهذا نتناول في هذا الفصل مكانة التأديب في هذه المرحلة، ومعناه وغايته، وأهميته وجوانبه، في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مكانة التأديب في مرحلة الطفولة المتأخرة

وقد وردت عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ روايات عديدة تُبرز أهمية تأديب الأولاد، وتبين قيمة ما يقدمه المربي لولده من تعليم وأدب. ولتوضيح هذه المكانة وصلتها بالمرحلة، نتناول الأمور الآتية:



◆ الحث على حسن تأديب الأولاد

◎ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من عال ثلاث بنات، فأدبهن ورحمهن وأحسن إليهن، فله الجنة». (١٣٤)

◎ وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم». (١٣٥)

◎ وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن». (١٣٦)

◎ وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال؛ فإن المال يذهب، والأدب يبقى». (١٣٧)

تلفت هذه النصوص نظر المربي إلى أن العناية بالولد لا تقتصر على توفير المال والحاجات المادية، بل تشمل تعليمه وتهذيب سلوكه. وقد جمع النص الأول بين التأديب والرحمة والإحسان؛ فيؤدي المربي مسؤوليته عن صلاح ولده بمعاملة تعينه على التعلم والعمل.

مثال: يحرص الأب على شراء حقيبة جيدة لولده، ويحرص معها على تعليمه المحافظة عليها وعلى أدواته، واحترام أدوات زملائه، وإعادة ما يستعيره. فتجتمع الرعاية المادية مع حسن التأديب.

◆ اغتنام هذه السنوات في التعليم والتهذيب

وتعد مرحلة الطفولة المتأخرة من أنسب الفترات لغرس الأدب، وترسيخ ضوابط السلوك، وتعليم الطفل ضبط النفس. وقد ورد التأكيد على التأديب في السنوات السبع الثانية؛ فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين...». (١٣٨)

ويعني اغتنام هذه المرحلة أن نقدم للولد تعليمًا منظمًا وتدريبًا يناسب فهمه، ونتابع اكتسابه للعادات والآداب. ولا يعني أن التربية تبدأ عند السابعة، أو أن حاجته إلى اللعب والمحبة تنتهي عندها.

مثال: يتعلم انتظار دوره في الحديث؛ فنوضح له المطلوب، ونستمع إليه

حين يأتي دوره، ونذكره إذا قاطع غيره، ونقدر التزامه. وبالتكرار والممارسة يصبح أقدر على ضبط اندفاعه.

◆ المبادرة بالأدب قبل رسوخ العادات المخالفة

ولهذا حث أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على المسارعة إلى غرس المفاهيم السليمة، ومن ذلك قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في وصيته لولده الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل لبك».[١٣٩]

فالمبادرة تتيح للمربي أن يعلم الولد الصواب قبل أن يألف خلافه، وأن يعالج بدايات العادة قبل استمرارها. وإذا ظهرت عادة خاطئة، فلا يكتفي بمنعها، بل يعلمه ما يحل محلها.

مثال: إذا اعتاد السخرية من أخطاء إخوته، نوقفها منذ بدايتها، ونبين أثرها، وندربه على المساعدة أو السكوت باحترام، بدل تركها تتكرر حتى تصبح أسلوبه المعتاد في التعامل.

◆ استمرار التأديب مع تطور أسلوبه

ورد في وصف السنوات السبع الثانية: «وعبد سبع سنين»، ضمن رواية تقسيم مراحل التربية.[١٤٠] ونستفيد من ذلك في تأكيد العناية بالتوجيه والتعليم والانضباط، مع بقاء حقوق الولد وكرامته، ومراعاة قدرته على الفهم والمشاركة.

وهذا لا يعني أن مرحلة المراهقة لا تحتاج إلى تأديب، بل يستمر التأديب، وتزداد الحاجة إلى المصاحبة والحوار وإشراك الولد في تحمل المسؤولية. ولا نحكم بأن من تأخر تعليمه أو أخطأ في هذه السنوات قد انتهت فرصة إصلاحه. مثال: نبدأ بتذكيره بتنظيم أدواته، ثم نعلمه مراجعتها بنفسه، ومع تقدمه نتفق معه على مسؤوليته ونتابع النتيجة؛ فتتغير طريقة المساعدة بحسب ما تعلمه وأصبح قادرًا عليه.

المبحث الثاني: معنى التأديب وغايته

لفهم التأديب وتحديد غايته، نحتاج إلى بيان معناه، وما يشمله من أعمال تربوية، وما نريد تحقيقه من خلالها. ونوضح ذلك في الأمور الآتية:



◆ التأديب بالمعنى الأعم

للتأديب استعمالات متعددة؛ فمن معانيه التعليم والتهذيب، وقد جاء في لسان العرب: «وأدبه فتأدب: علمه»[١٤١]. وجاء في معجم ألفاظ الفقه الجعفري أن من معانيه «التهذيب، التربية».[١٤٢]

ونقصد بالتأديب بمعناه الأعم هنا تربية الولد وتهذيب سلوكه؛ فيشمل التعليم، والتدريب، والمتابعة، والتقويم، والترغيب، وأحيانًا الردع، ضمن ضوابطه الشرعية والتربوية.

كما أن التأديب لا يقتصر على نقل المعرفة النظرية إلى ذهن الطفل، بل يتضمن غرس القيم عمليًا، وتدريبه على الالتزام بها، حتى تصبح جزءًا من سلوكه.

بعبارة جامعة: التأديب بهذا المعنى يجمع بين التعليم والتدريب والمتابعة والتقويم، بحكمة ورحمة، وقد يتضمن إجراءً تأديبيًا عند الحاجة، مع مراعاة شروطه وحدوده.

مثال تطبيقي: تأديب الطفل على الصلاة لا يعني أن تقول له: «صلِّ» فحسب، بل أن تكون قدوة له في أدائها، وتشرح له معناها وأهميتها، ثم تدربه عمليًا على أدائها، وتتابعه، وتصحح أخطاءه بلطف، وترغبه بأساليب محببة.

وإذا ظهر تقصير، نعرف سببه ونختار المعالجة المناسبة، مع التفريق بين تدريب غير البالغ ووظيفة من بلغ شرعًا.

◆ التأديب بالمعنى الأخص

ومن استعمالات التأديب المعاقبة على الإساءة بقصد الإصلاح، وهو معنى مستعمل في الفقه، ومنه تأديب الوالد لولده.[١٤٣]

ونقصد به هنا ما يتخذ من إجراءات تهذيبية حازمة تجاه السلوك الخاطئ بعد وقوعه، بقصد الردع والإصلاح، وفق الضوابط الشرعية والتربوية.

وهو لا يقتصر على العقوبة البدنية، بل يشمل أنواعًا متعددة من الوسائل

التربوية المنضبطة، التي سنشير إليها لاحقًا.

مثال: يتكرر تجاوز الولد للوقت المتفق عليه لاستعمال الجهاز، بعد توضيح القاعدة ومساعدته على الالتزام. فيتخذ المربي إجراءً معلومًا ومحددًا يناسب المخالفة، مع تعليمه كيف ينظم استعماله، ثم يراجع استجابته.

فالإجراء الحازم جزء من المعالجة، ولا يغني وحده عن التعليم والمتابعة.

◆ غاية التأديب بناء السلوك الصالح

نريد أن يعرف الولد الصواب، ويتدرب على فعله، ويستطيع مراجعة نفسه وإصلاح خطئه. ولذلك ننظر إلى ما تعلمه، لا إلى سكوته أمام المربي وحده؛ فقد يسكت دون أن يعرف كيف يتصرف في المرة القادمة.

مثال: أخذ غرض أخيه دون إذن، فأعاده بعد توجيهه. نكمل التعليم بأن يتدرب على طلب الإذن، والمحافظة على الغرض إذا استعاره، وإعادته في الوقت المتفق عليه؛ حتى يعرف السلوك المطلوب كله.

◆ إعانة الولد على الاستجابة

المربي لا يكتفي بالمطالبة، بل يساعد الولد على أداء ما يطلبه. قال الإمام زين العابدين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في حق الولد: «وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته».[١٤٤]

فإذا تعثر الولد، نراجع وضوح تعليمنا، ومناسبة المطلوب، وما وفرناه من تدريب وقدوة ومساعدة، قبل أن نفسر كل تعثر بأنه تعمد للمخالفة.

مثال: نطلب منه ترتيب كتبه، فنحدد مكانها ونريه طريقة ترتيبها أولًا، ثم نتركه يعمل ونتابع. فإذا لم يعرف من أين يبدأ، نساعده على الخطوة الأولى، بدل تكرار الأمر بصوت أعلى.

المبحث الثالث: أهمية التأديب وجوانبه

للتأديب أهمية كبرى في تربية الأولاد، إذ يسهم في تقويم السلوك، وبناء الضمير، وغرس القيم التربوية في النفس منذ الصغر، وسنُبيّن أبرز هذه الآثار في النقاط الآتية:



١. ترسيخ المبادئ الأخلاقية

التأديب يُسهم في بناء البنية القيمية للطفل منذ الصغر، وذلك من خلال التعليم، والتوجيه، والموعظة، وتكرار التذكير بالسلوكيات الفاضلة. وإذا وقع الطفل في مخالفة لما تَعلّمه، يأتي دور التقويم أو الردع المناسب لتثبيت تلك المبادئ.

مثال: غرس حبّ الأمانة لدى الطفل عبر القصص والتطبيق، ثم تذكيره بها عند أول مخالفة، ثم تأديبه بلطف إن استمر في التهاون.

٢. تصحيح الخطأ وتقويم السلوك

عندما يقع الطفل في خطأ، فإن المربي لا يكتفي بالتوجيه، بل يسعى إلى تقويم السلوك من خلال تنبيهه بلطف، أو باستخدام وسيلة من وسائل التأديب الملائمة. وهذا بعد أن يكون قد سبق ذلك تعليمٌ وتدريب على الفعل الصحيح.

مثال: عند ارتكاب الكذب، يُذكّر الطفل أولًا بقيمة الصدق، ثم يُواجه بلغة حازمة تُظهر له خطورة فعله، مع تعزيز البديل الإيجابي.

٣. تنمية الشعور بالمسؤولية

من خلال التربية اليومية، يتعلم الطفل أن كل تصرف له أثر، فيتكوّن لديه وعي بالمسؤولية. وإذا قصّر في أداء واجبه، فإن التأديب المناسب يُعيده إلى الشعور بمسؤوليته ويحمّله تبعات قراراته.

مثال: يُعلّم الطفل منذ الصغر أن الدراسة مسؤوليته، فإذا أهملها يتحمل ما يناسب عمره من نتائج تقصيره، مع متابعته ومساعدته على تحسين أدائه.

٤. تنبيه الطفل وإيقاظ وعيه

قد يغفل الطفل أو يندفع بلا وعي، فيأتي التأديب – بلطف أو حزم – ليوقظه من غفلته، وينبّهه إلى خطورة سلوكه. وقبل ذلك يكون قد تعرّف

على المفاهيم الأخلاقية من خلال حوارات سابقة وقصص هادفة.

مثال: يُنبَّه الولد بلوم صادق بعد تصرف غير لائق، لكن هذا التنبيه يكون أكثر تأثيرًا إذا سبقه توجيه مستمر لقيم الاحترام والتعاطف.

٥. الوقاية من التمادي والانحراف

التأديب الاستباقي (كالتذكير، والتحذير التربوي، وتحديد الحدود) يساعد على منع كثير من الأخطاء قبل وقوعها. وإذا تمادَى الطفل، يُستخدم التأديب الحازم ضمن الضوابط التربوية لكبح الانحراف ومنعه من التوسع.

مثال: تنبيه الطفل إلى عواقب الكذب قبل أن يقع فيه، وإن تكرّر، قد يُحرم مؤقتًا من بعض الامتيازات المناسبة، ضمن الضوابط الشرعية والتربوية، للحد من تكرار الخطأ.

٦. تعزيز الرقابة الذاتية والانضباط الداخلي

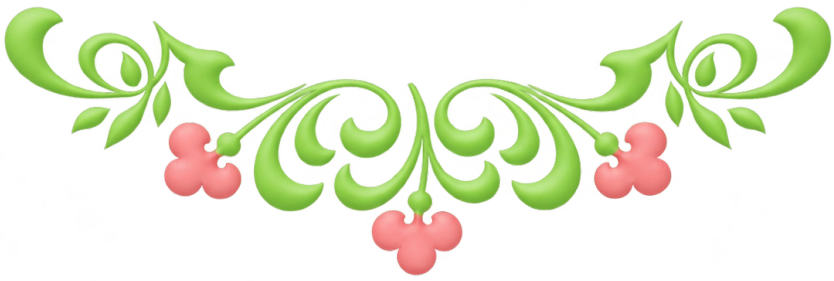
عبر التوجيه المستمر والمتابعة، يُبنى في داخل الطفل ضمير حي يضبط سلوكه حتى في غياب المربي. وإذا خالف هذا الضمير، فالمحاسبة المعتدلة تعينه على مراجعة نفسه وتصحيح سلوكه.

مثال: الطفل الذي اعتاد التذكير المستمر بأهمية الصدق، يبدأ بترك الكذب من تلقاء نفسه، وإذا أخطأ يُوجه بلطف لتقوية هذا الوازع.



الفصل الثاني:

العقوبة وضوابط استخدامها



بعد بيان معنى التأديب وأهميته، ننتقل إلى العقوبة بوصفها إحدى وسائله التي تحتاج إلى معرفة وضبط في الاستعمال. فلا يكفي أن يرغب المربي في إيقاف الخطأ، بل يحتاج إلى التثبت منه، وفهم ظروفه، واختيار الإجراء المشروع المناسب، ثم متابعة أثره في سلوك الولد.

ولبيان ذلك، نتناول مفهوم العقوبة ونوعيها، وضوابط اختيارها وتطبيقها، ثم التدرج ومتابعة الاستجابة، في المباحث الآتية:

المبحث الأول: مفهوم العقوبة ونوعاها

قد تستعمل كلمة العقوبة للدلالة على إجراءات مختلفة، ولهذا نوضح معناها والفرق بين نوعيها قبل الحديث عن شروط استخدامها:



◆ معنى العقوبة

عرّف علماء التربية العقوبة بتعريفات مختلفة تعود إلى مضمون واحد، وهو أنها عبارة عن إجراء مؤلم، يتبع سلوكًا غير مرغوب فيه، بهدف منع تكراره، أو تقليل احتمال حدوثه في المستقبل.[١٤٥]

والمقصود بالألم هنا لا ينحصر في الألم الجسدي؛ فقد يكون الإجراء عتابًا، أو حرمانًا مؤقتًا من امتياز يحبه الولد. لكن وصف إجراء بأنه عقوبة لا يعني أنه جائز شرعًا أو مناسب تربويًا؛ فهذه مسألة أخرى تحتاج إلى مراعاة ضوابطه.

مثال: قد يؤدي توبيخ الولد أمام زملائه إلى توقفه عن تصرف معين، لكن هذا التوقف وحده لا يكفي للحكم بصحة الوسيلة؛ إذ ينبغي النظر في مشروعيتها، وما تتضمنه من إهانة أو اعتداء على حقه.

كما أن المنع قد يكون للحماية أو التنظيم، لا للعقوبة؛ فمنع استعمال أداة خطرة يهدف إلى حفظ السلامة، وتحديد وقت يومي للأجهزة يهدف إلى تنظيم الحياة.

◆ العقاب الإيجابي

العقاب الإيجابي هو إتباع السلوك غير المرغوب فيه بإضافة إجراء غير محبب، بقصد تقليل تكراره.[١٤٦]

ولا تعني كلمة «إيجابي» هنا أن العقوبة حسنة أو ممدوحة، وإنما تعني إضافة إجراء بعد السلوك.

مثال: إذا كان الولد مولعًا باللعب على الأجهزة الإلكترونية لساعات طويلة، وترك أغلب مسؤولياته، ثم اختار المربي عتابًا منضبطًا يبين به خطورة التصرف، فهذا مثال على إضافة إجراء غير محبب عقب المخالفة.

وتفصيل صور العتاب وسائر الوسائل وضوابطها يأتي في الفصل الثالث، أما الضرب فله أحكام خاصة يأتي بحثها في الفصل الرابع.

◆ العقاب السلبي

العقاب السلبي هو إتباع السلوك غير المرغوب فيه بإزالة معزز مرغوب فيه، أي سحب امتياز يحبه الولد مدة محددة، بقصد تقليل تكرار السلوك.[١٤٧]

ولا تعني كلمة «سلبي» هنا أنه إجراء سيئ، وإنما تعني إزالة شيء مرغوب، بدل إضافة شيء غير محبب.

مثال: يتكرر تجاوز الولد للوقت المتفق عليه للألعاب الإلكترونية، رغم التوضيح والتذكير، فيحرم من جلسة لعب محددة وفق اتفاق واضح، ثم تتاح له فرصة جديدة للالتزام.

ويعرف مسبقًا مدة الإجراء وما المطلوب منه، ولا يترك الحرمان مفتوحًا دون نهاية معلومة. وهكذا يختلف النوعان في طريقة الإجراء، مع اشتراكهما في قصد الحد من السلوك غير المرغوب فيه.



المبحث الثاني: ضوابط اختيار العقوبة وتطبيقها

غير أن الإسلام لم يترك استعمال هذه الوسيلة لاجتهاد المربين وأهوائهم، بل أحاطها بجملة من الضوابط الشرعية والتربوية؛ لتبقى وسيلة للإصلاح لا للإفساد، ورحمة بالناشئ لا انتقامًا منه. ولحسن اختيار الإجراء وتطبيقه، نراعي الأمور الآتية:



◆ مراعاة عمر الولد وفهمه وحاله

ننظر إلى عمر الولد، ومقدار فهمه، وقدرته على أداء المطلوب، وحالته وقت وقوع التصرف. فلا نتعامل مع من لم يفهم القاعدة كما نتعامل مع من عرفها وتدرب عليها ثم خالفها.

أما بعد تقدمه في العمر، وازدياد قدرته على التمييز بين الصواب والخطأ، فيمكن التدرج في استخدام ما يناسب مرحلته من أساليب التأديب، مع مراعاة الضوابط الشرعية والتربوية.

مثال: ينسى ولد حديث التعلم خطوات مهمة منزلية، فنراجع معه الطريقة ونعينه على تذكرها. ولا نفسر النسيان مباشرة بأنه رفض للطاعة.

ونراعي كذلك الفرق بين البالغ وغير البالغ، ولا نجعل العمر المدرسي وحده أساسًا للحكم. وللعقوبة البدنية قيود خاصة، ومنها أن الأحوط وجوبًا عدم ضرب البالغ مطلقًا، وفق فتوى السيد السيستاني.[١٤٨]

◆ تحديد التصرف الذي يحتاج إلى تقويم

نحدد السلوك الذي نريد معالجته، ولا نجعل العقوبة رد فعل على كل ما يزعج المربي أو يخالف رغبته. فقد يكون السلوك محرمًا، أو مؤذيًا، أو مخالفًا لأدب ينبغي تعليمه، لكن وسيلة المعالجة تختلف باختلاف المورد.

ومن أمثلة ما يحتاج إلى تقويم: الكذب، والسرقة، والاعتداء على الآخرين، ومقاطعتهم باستمرار، والعبث بممتلكاتهم، وعدم احترام الدور. ولا يعني جمع هذه الأمثلة أنها تستدعي الإجراء نفسه، أو أن كل وسيلة مباحة في جميعها.

أما إذا كان الخطأ غير مقصود، كأن يكسر إناءً من غير قصد، أو كان الفعل خارجًا عن إرادته، فلا ننسب إليه تعمد المخالفة. وإذا كان يجهل المطلوب، نقدم التعليم والتوضيح.

مثال: تنكسر منه كأس لأنه تعثر، فنطمئن إلى سلامته ونبعد الزجاج، ثم

نعلمه ما يحتاج إليه من احتياط. ونفرق بين هذا الموقف وبين كسرها عمدًا لإيذاء غيره أو إتلاف ماله.

ولا يجعل المربي العقوبة وسيلة لمنع طاعة واجبة، كمعاقبة الفتاة على التزام الحجاب الشرعي، أو منع الولد من أداء الصلاة.

◆ التثبت من وقوع الخطأ

لا يجوز للمربي أن يبادر إلى معاقبة الولد لمجرد الشك أو سوء الظن أو سماع اتهام من الآخرين دون التثبت من صحته؛ لأن كثيرًا من الأخطاء المنسوبة إلى الأبناء قد تكون ناشئة عن سوء فهم، أو نقل غير دقيق، أو اتهام باطل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾.[١٤٩]

فنستمع إلى الأطراف، ونتعرف إلى ما حدث قبل التصرف وبعده، ولا نبدأ المناقشة بحكم جاهز.

مثال: يتهم أحد الإخوة أخاه بأخذ ماله، فنبحث عن حقيقة ما وقع، ونسأل بهدوء، ولا نعاقبه لمجرد أنه سبق أن أخذ شيئًا دون إذن في موقف آخر.

◆ بيان سبب الإجراء والمطلوب بعده

ينبغي أن يوضح المربي للناشئ سبب تأديبه؛ ليعلم أن المعالجة متعلقة بالسلوك الخاطئ، وأن الغرض هو إصلاحه، لا الانتقاص من كرامته.[١٥٠]

ويبين له ما ينبغي فعله الآن، وكيف يتجنب تكرار الخطأ، ومتى ينتهي الإجراء. فوضوح السبب وحده لا يغني عن تعليم البديل.

مثال: يقول المربي: «استعملت اللعبة لإيذاء أخيك، فسنتوقف عن استعمالها الآن. وبعد هدوء الموقف نتدرب على اللعب بها دون أذى». ولا يكتفي بقول: «أنت تعرف ماذا فعلت»، إذا كان الولد لا يفهم موضع الخطأ.

◆ أن يكون القصد الإصلاح لا الانتقام

من أهم ضوابط التأديب أن يصدر عن المربي وهو في حالة هدوء واتزان؛ لأن الغضب يدفع إلى تجاوز الحدود، ويحول التأديب من وسيلة للإصلاح إلى وسيلة للانتقام.

وقد قال السيد الكلبايكاني: «لا يجوز ضرب الصبي المميز للغضب وتشفي القلب».[١٥١]

فإذا شعر المربي أنه فقد هدوءه، أوقف الأذى وأمّن السلامة أولًا، ثم أخر مناقشة الإجراء حتى يهدأ، وعاد إلى معالجة الموقف دون إهماله.

مثال: يسمع كلمة جارحة من ولده، فيشعر برغبة في الرد بإهانة أشد. يتوقف عن المجادلة، ثم يعود بعد هدوئه ليبين خطأ الكلام ويطلب إصلاحه، بدل أن تتحول المعالجة إلى تبادل للإساءة.

◆ حفظ الحقوق والتناسب مع الموقف

العقاب لا يطال الأمور الأساسية في حياة الطفل، كمنعه من تناول وجبات الطعام الأساسية أو النوم أو العلاج. ولا يبيح إتلاف ممتلكاته أو الاعتداء على ماله أو التشهير به، بل يبقى المربي مقيدًا بحقوقه وبالحكم الشرعي الخاص بالإجراء.

ويختار إجراءً محدودًا يناسب التصرف، دون جمع عقوبات كثيرة لمخالفة واحدة لمجرد إظهار الشدة.

مثال: إذا كانت المخالفة متعلقة باستعمال الجهاز، نبحث عن معالجة مناسبة لهذا الاستعمال، ولا نضيف تلقائيًا حرمانه من الزيارة والرياضة وسائر ما يحبه.

المبحث الثالث: التدرج ومتابعة الاستجابة

لا تنتهي مسؤولية المربي باختيار الإجراء؛ بل يحتاج إلى معرفة ما يقدمه عليه، وكيف يطبقه، وما أثره بعد ذلك. ولتحقيق هذه المتابعة، نراعي الأمور الآتية:



◆ تقديم التعليم ووسائل الإصلاح

الأصل في التربية أن تقوم على الإقناع والتوجيه والحوار والقدوة الحسنة والترغيب والتشجيع، فإذا حققت هذه الوسائل غايتها فلا حاجة إلى الانتقال إلى غيرها.

وإذا لم يظهر التحسن، نراجع طريقة استعمالها؛ فقد نكون كررنا الأمر، لكننا لم نشرح المطلوب أو ندرب الولد عليه. وبعد معرفة الحاجة يمكن اختيار إجراء مشروع مناسب، مع بقاء شروطه معتبرة.

مثال: نطلب منه مرارًا المحافظة على أدواته، لكنه لا يعرف كيف ينظمها. نخصص لها أماكن واضحة ونتدرب معه على إعادتها، ثم نتابع النتيجة قبل الحكم بأن التعليم لم ينفع.

◆ البدء بما يحقق الغرض بأقل مشقة

استخدم أقل وسائل التأديب قسوة وأكثرها تأثيرًا، وتجنب استخدام إجراء أشد إذا كان إجراء أخف مشروع يحقق الغرض.

والتدرج ليس قائمة يجب المرور بجميع درجاتها، ولا يعني وجوب زيادة العقوبة كلما تكرر الخطأ؛ بل نختار بحسب الحاجة والاستجابة. كما لا ننتظر انتهاء التدرج إذا وجد خطر عاجل يحتاج إلى إيقافه.

مثال: إذا كفى التنبيه الهادئ لإيقاف تصرف غير لائق، فلا حاجة إلى مواصلة التوبيخ بعد توقفه. وإذا رفع أداة ليؤذي بها غيره، نتدخل للحماية فورًا، ثم نعالج ما حدث.

◆ تطبيق الإجراء بوضوح واتساق

يجب أن يتم شرح سبب العقاب بوضوح للطفل حتى يفهم ما هي التصرفات التي يجب أن يمتنع عنها ولماذا.

ونتفق، قدر الإمكان، بين من يشاركون في تربيته على القاعدة وكيفية

متابعتها؛ فلا يعاقب على أمر يسمح به له مربٍّ آخر دون توضيح. وإذا حددنا إجراءً، فلا نطيله بسبب غضب جديد، ولا نغير شروط انتهائه دون سبب واضح.

مثال: نتفق على وقت استعمال الجهاز، ويعرفه الوالدان والولد. فإذا احتاج الترتيب إلى تعديل، يناقش بوضوح، بدل أن يتلقى الولد تعليمات متعارضة في اليوم نفسه.

◆ ملاحظة التغير ومراجعة الوسيلة

نقيس أثر المعالجة بما يحدث في السلوك: هل قل تكراره؟ وهل عرف الولد البديل؟ وهل بدأ يعمل به؟ ولا نكتفي بأنه بكى أو سكت؛ فذلك وحده لا يبين ما تعلمه.

مثال: بعد معالجة اعتدائه على أخيه، نلاحظ هل أصبح يطلب غرضه بالكلام، أو يستعين بالمربي عند الخلاف. فإذا استمر الاعتداء، نراجع ما يسبقه، وما يحتاج إليه من تدريب، ومدى مناسبة الإجراء.

وإذا زادت الوسيلة المشكلة أو لم يظهر لها نفع، فلا نستمر فيها لمجرد أننا اخترناها، بل نراجعها ونستعين بمن يحسن المساعدة عند الحاجة.

◆ إنهاء الإجراء وإتاحة الإصلاح

تعامل مع طفلك باحترام أثناء قيامك بتقويم سلوكه، وأتِحْ له فرصة تجاوز الخطأ بعد معالجته. ومن المهم أن تتخلى عن تكرار لومه على المشكلة متى انتهت.

فإذا انتهت مدة الإجراء، نعيد ما اتفقنا على إعادته، ونقدر ما ظهر من تحسن، ولا نستعمل الخطأ القديم في كل خلاف جديد. ونتابع ما بقي من إصلاح الحقوق بحسب حاله.

مثال: التزم بترتيب استعمال الجهاز بعد انتهاء الحرمان المحدد، فنسمح له

بالعودة وفق الاتفاق، ونشجعه على الالتزام، بدل تذكيره في كل مرة بأنه لا يستحق الثقة.

ونربط ذلك بمراجعة النفس ومراقبة الله؛ حتى يتعلم اختيار الصواب في السر والعلن، لا مجرد تجنب غضب المربي. وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه».[١٥٢]

فتكون المتابعة امتدادًا للتعليم والإصلاح، ويعرف الولد أن أمامه طريقًا واضحًا للرجوع إلى السلوك الحسن.

الفصل الثالث:

وسائل التأديب بالعقوبة

تتنوع وسائل التأديب، ويختلف أثرها باختلاف الولد والموقف وطريقة التطبيق. وبعد معرفة الضوابط العامة، نعرض في هذا الفصل إحدى عشرة وسيلة، مع بيان مقصود كل منها وأمثلتها وحدود استعمالها.

وهذه الوسائل لا تستعمل كلها في كل موقف، ولا يلزم الانتقال بينها بترتيب ثابت؛ بل يختار المربي ما يناسب الحاجة ويحقق الإصلاح، مع حفظ الحقوق ومتابعة الاستجابة.

أولًا: أسلوب الحرمان المؤقت

يقوم الحرمان المؤقت على منع الناشئ من بعض الامتيازات التي يحبها، مدة معلومة، بسبب سلوك يحتاج إلى تقويم؛ ليدرك أثر تصرفه، ويجد دافعًا إلى تصحيحه. وقد ينفع هذا الأسلوب إذا استعمل في موضعه المناسب وبالقدر الذي يحقق الغرض.

ومن صور ذلك: حرمانه من كلمات التشجيع والثناء مدةً محددة، أو من الخروج للنزهة، أو من بعض الألعاب، أو من استخدام الهاتف أو الأجهزة الإلكترونية، أو من متابعة مواقع التواصل الاجتماعي، أو من شراء بعض الهدايا ونحوها من الأمور غير الضرورية.

أما الثناء، فلا نمدح التصرف الخاطئ، لكننا لا نحرم الولد من تقدير كل عمل حسن يصدر منه خلال هذه المدة؛ حتى يبقى طريق الإصلاح ظاهرًا أمامه.

ولا يجوز أن يمتد الحرمان إلى الحاجات الأساسية التي لا تستقيم حياة الطفل إلا بها، كالغذاء والشراب والنوم والعلاج والملبس؛ لأن المقصود من العقوبة الإصلاح لا الإيذاء.

كما لا ينصح بحرمانه من مصروفه اليومي أو الأسبوعي؛ فقد يكون محتاجًا إليه في أمور ضرورية، وقد يدفعه الحرمان غير المدروس إلى البحث عن المال بطرق غير سليمة. ونفرق كذلك بين امتياز مالي لم يمنح بعد، ومال أصبح ملكًا له؛ فلكل منهما حكمه.

مثال تطبيقي:

إذا اشترى الوالدان لابنهما هاتفًا جديدًا، واشترطا عليه أن يستعمله فيما يرضي الله تعالى، وألا يجعله وسيلة لمشاهدة المحرمات أو التواصل غير المشروع أو إضاعة الواجبات، ثم ثبت أنه خالف هذا الشرط، يمكن بحث تقييد استعماله أو منعه مؤقتًا، بحسب حق المربي في ذلك، مع بيان المدة

وطريقة العودة إلى الاستعمال المناسب.

ونربط هذا التعليم بحسن الانتفاع بالنعم وشكر الله عليها. فقد ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النِّعْمَةَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا»[١٥٣].

فالنعم التي أنعم الله بها على الإنسان لا تحصى، وقد يغفل عن نعمة الإيمان والصحة والأمن والعقل والأهل. ولذلك كان من دعاء كميل: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ».

ويستأنس المربي بهذا المعنى في تعليم شكر النعمة وحسن استعمالها، دون أن يجعل كل نعمة يفقدها الولد عقوبة إلهية، أو يفترض أن هذه النصوص تبيح له سحب أي حق يملكه.



ثانياً: أسلوب إظهار عدم الرضا عن السلوك

يقوم هذا الأسلوب على إشعار الناشئ بأن المربي غير راضٍ عن السلوك الذي ارتكبه، مع المحافظة على محبته واحترامه؛ لأن المقصود هو تقويم السلوك، لا هدم شخصية صاحبه.

وقد يكون ذلك بكلام واضح أو بتغير مناسب في المعاملة، وقد يستعان عند الحاجة بالهجر المؤقت، مع مراعاة ضوابطه وعدم الإطالة فيه. ونوضح هاتين الصورتين فيما يأتي:

◆ أسلوب إظهار الكراهة للسلوك الخاطئ

يحتاج الناشئ إلى معرفة موقف المربي من التصرف الخاطئ، حتى لا يفهم صمته أو مشاركته له على أنهما موافقة عليه. أما الحكم الشرعي بوجوب إظهار الكراهة، فيراعى فيه مورده وشروطه، ولا يعمم على كل مخالفة لأدب أو رغبة للمربي.

وقد جاء في المسائل المنتخبة للسيد السيستاني، المسألة رقم ٦٣١: (وجوب إظهار الكراهة قولاً أو فعلاً من ترك الواجب أو فعل الحرام عينيٌّ لا يسقط بفعل البعض)[١٥٤].

والمقصود بالواجب العيني: أنه واجب على كل مكلَّف بنفسه، فلا يسقط عنه بقيام غيره به، كأداء الصلاة، بخلاف الواجب الكفائي الذي يسقط بقيام من يكفي به.

ومن أمثلة إظهار الكراهة قولًا: «هذا العمل لا يرضي الله تعالى، ولا يجوز لك فعله، وأنا غير راضٍ عنه». ومن أمثلتها فعلًا: إظهار الجدية، والتوقف عن المزاح في الموقف، بما يوضح رفض الفعل دون ظلم أو إساءة.

روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمَرَنَا رَسُوْلُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَلْقَىٰ أَهْلَ المَعَاصِيْ بِوُجُوْهٍ مُكْفَهِرَّةٍ»[١٥٥].

كما نقل أبو سعيد الخدري في وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « وَكَانَ إِذَا

كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».[١٥٦]

ويستفاد من ذلك إمكان إظهار رفض التصرف دون الإكثار من الكلام، مع مراعاة فهم الولد وحاله، والفرق بين غير البالغ والمكلف.

وقد ورد في «لئالي الأخبار»: «من تبسم في وجه تارك الصلاة فكأنما هدم البيت المعمور سبع مرات»[١٥٧].

وهذا من النصوص التي تحتاج دلالتها وموردها إلى بحث، فلا نجعلها حكمًا عامًا يمنع البسمة أو المودة مع كل من قصر في الصلاة، ولا نغفل أحكام التعامل والدعوة إلى الإصلاح.

◆ **أسلوب الترك المؤقت للمعاشرة «الهجر التربوي»**

المقصود به تقليل بعض صور الأنس والمخالطة المعتادة مدة محدودة، بقصد التنبيه والإصلاح، لا التخلي عن الولد أو الانتقام منه. فقد يقلل المربي المزاح أو يؤخر نشاطًا مشتركًا، مع بقاء الرعاية والإجابة عما يحتاج إليه الولد.

وقد نقل عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رجلًا شكا إليه ابنًا له، فقال: «لا تضربه، واهجره، ولا تطل»[١٥٨]، فيجمع التوجيه بين استعمال الهجر وعدم إطالته. ولا يحدد النص المذكور عددًا ثابتًا من الساعات لجميع الأولاد والمواقف؛ فيراعى العمر والحال، ولا يتحول الهجر إلى مقاطعة مفتوحة أو وسيلة للإذلال.

فإذا جلس أفراد الأسرة لتناول الطعام، وأصر الناشئ على ترك الصلاة بعد النصح والإنذار، ورأى المربي أن المصلحة التربوية تقتضي استعمال هذا الأسلوب، أمكن أن يفرده عنهم في تلك الوجبة، ويقول له بهدوء: (من الآن ستأكل وحدك وليس معنا؛ لأني أخاف أن يحاسبني ربي؛ لأني أطعمك رغم أنك تارك للصلاة).

وهذا الأسلوب له أصل في القرآن الكريم والسنة، ومنه قوله تعالى في علاج نشوز الزوجة:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾.[١٥٩] أي إن الهجر قد يُستعمل وسيلةً للإصلاح عند الحاجة، كما وردت روايات في هجر أهل المعاصي إذا كان في ذلك ردع لهم، ولم يترتب عليه مفسدة أكبر.

ومن الروايات الواردة في التشديد على عدم إعانة تارك الصلاة ما روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «من أعان تارك الصلاة بلقمة أو كسرة فكأنما قتل سبعين نبياً»[١٦٠].

ولينتبه المربي إلى عدم ممارسة الابتزاز العاطفي، ولا سيما مع الأطفال، كأن يقول: «إذا فعلت هذا فلن أحبك». والصحيح أن يوضح بقاء محبته ورفضه للسلوك، فيقول: «أنا أحبك، لكنني لا أرضى عن هذا التصرف، وسنبحث كيف تصلحه».



وقد يتساءل المربي: ماذا أفعل إذا لم ينفع إظهار الكراهية للسلوك القبيح وترك المعاشرة المؤقت، بل زادا الناشئ عنادًا أو نفورًا؟

الجواب: لا ينبغي للمربي الإصرار على وسيلة لم تنفع، أو أدى استمرارها إلى زيادة النفور أو مفسدة أكبر؛ فالمقصود إصلاح الناشئ، لا مجرد إيقاع العقوبة عليه. ويمكن معالجة الموقف بالخطوات الآتية:

◈ مراجعة سبب السلوك والحوار بشأنه

يعود المربي إلى الحوار الهادئ، ويستمع إلى الناشئ ليتعرف إلى ما يدفعه إلى هذا التصرف، ويعالج السبب، لا المظهر وحده. ويصاحب ذلك تذكيره بالله تعالى، وبيان أثر سلوكه في نفسه والآخرين، وما يترتب عليه في الدنيا والآخرة، بلغة يفهمها.

◈ الاستعانة بمن يحسن التأثير فيه

إذا لم يحسن المربي الإقناع، أو كانت العلاقة بينهما تعوق تقبل النصح، يستعين بشخص حكيم يثق به الناشئ، كأحد الوالدين، أو قريب، أو مستشار تربوي، أو رجل دين يمتلك القدرة على الحوار وفهم مشكلته.

◈ اختيار وسيلة أخرى عند الحاجة

إذا لم تكفِ المعالجة السابقة، ينظر المربي في وسيلة أخرى من وسائل التأديب المشروعة، تناسب شخصية الناشئ ونوع الخطأ، مع مراعاة التدرج والشروط الشرعية، دون ظلم أو إهانة. ولا يعني عدم نجاح الوسيلة السابقة جواز استعمال أي عقوبة أو الانتقال تلقائيًا إلى الأشد.

◈ استمرار الدعاء والتربية الإيمانية

يلازم المربي الدعاء للناشئ والصبر عليه، ويواصل غرس الإيمان وتقوية صلته بالله وتنمية مراقبته لنفسه؛ فهذه عناية مستمرة تصاحب جميع الخطوات، وليست إجراءً يؤجل إلى ما بعد فشل الوسائل الأخرى. وإصلاح السلوك يحتاج إلى إصلاح القلب، والتعليم، والمساندة، والمتابعة.

ثالثًا: أسلوب اللوم (التوبيخ والتأنيب)

يقوم أسلوب اللوم (التوبيخ والتأنيب) على توجيه اللوم إلى الناشئ عند ارتكابه سلوكًا محرمًا أو قبيحًا، بقصد إشعاره بخطئه، وإيقاظ ضميره، وردعه عن الاستمرار في ذلك السلوك، من غير إهانة أو تحقير أو اعتداء على كرامته.

ويُعد هذا الأسلوب من أبرز صور إظهار الكراهة بالقول التي أشار إليها سماحة السيد السيستاني دام ظله في المسائل المنتخبة (المسألة: ٦٣١)، مع مراعاة مورد الحكم وشروطه الشرعية. وقد يكون اللوم تصريحًا حازمًا بخطأ الفعل، وقد يكون عتابًا رفيقًا يحرك الندم والرغبة في الإصلاح. وهذا تقسيم توضيحي لطريقة الخطاب، لا حد اصطلاحي ثابت بين كلمتي التوبيخ والتأنيب.

◆ **التوبيخ الحازم**: يستعمل عند الحاجة إلى التنبيه على خطورة الخطأ، وقد يتضمن ذم الفعل وتقبيحه، دون المساس بكرامة صاحبه.

ومن أمثلته:

- «كيف ترضى لنفسك أن تعصي الله تعالى بعد كل ما أنعم به عليك؟»
- «هل يليق بمؤمن أن يكذب أو يخون الأمانة؟»
- «هذا التصرف لا يليق بمن نثق بعقله وأخلاقه».
- «أنت أفضل من هذا السلوك، فلا تجعل معصيةً واحدة تُنقص من قيمتك».

◆ **التأنيب (العتاب)**: هو لومٌ يغلب عليه الرفق والجانب العاطفي، ويهدف إلى استثارة مشاعر الندم، وتحريك الضمير، وتشجيع الناشئ على تصحيح خطئه.

مثال ذلك:

- «لقد أحزننا هذا التصرف كثيرًا، وكنا نتمنى أن تكون قدوةً لإخوتك».

• «نحن نحبك، ولذلك يؤلمنا أن نراك تسير في طريق يغضب الله تعالى».

• «إصلاح هذا الخطأ سيفرحنا جميعًا، ويقربك أكثر من الله تعالى».

أصل هذا الأسلوب ثابت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقد استعمله القرآن الكريم في تقويم السلوك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١٦١]، وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۞ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٦٢]. فهاتان الآيتان وغيرهما تدلان على مشروعية استعمال اللوم والتوبيخ في تقويم السلوك، متى كان بقصد الإصلاح والهداية، مع مراعاة الضوابط الشرعية والتربوية.

كما استعمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذا الأسلوب مع أصحابه عندما تدعو الحاجة إليه، فقد روي أن أبا ذر الغفاري عيَّر رجلًا بأمه، فقال له



رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»[١٦٣]. وفي هذا توجيه حازم إلى خطأ التعيير بالأم، وتنبيه إلى ما فيه من أخلاق الجاهلية.

ويُعد اللوم من الأساليب التربوية المؤثرة إذا استُعمل في موضعه؛ لأنه يوقظ ضمير الناشئ، ويشعره بخطورة ما ارتكبه، ويساعده على تجنب الاستهانة بالخطأ أو تكراره، كما يساعده على التمييز بين السلوك المقبول والسلوك المرفوض.

ولكي يحقق هذا الأسلوب غايته في الإصلاح وتقويم السلوك، ينبغي للمربي مراعاة الضوابط الآتية:

١. أن يكون اللوم بقصد الإصلاح، لا بقصد التشفي أو التنفيس عن الغضب.

٢. أن يوجَّه إلى السلوك، لا إلى شخصية الناشئ، فلا يقال له: «أنت فاشل» أو «أنت سيئ»، وإنما يقال: «هذا التصرف خطأ».

٣. أن يخلو من السب والشتم، والألفاظ الجارحة، والسخرية، والإهانة.

٤. أن يكون بقدر الحاجة، فلا يكثر المربي من اللوم؛ لأن كثرة التوبيخ قد تُفقده أثره.

٥. أن يراعي عمر الناشئ، وشخصيته، وحالته النفسية، فبعض الأطفال يكفيه التلميح، وآخرون يحتاجون إلى تصريح هادئ.

٦. ألا يكون أمام الآخرين إذا كان يؤدي إلى إذلال الناشئ أو كسر شخصيته.

وقد نبَّه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى خطر الإفراط في العتاب، فقال:

«لا تُكْثِرَنَّ العِتابَ؛ فإنَّه يُورِثُ الضَّغِينَةَ، ويَدْعُو إلى البَغْضاءِ»[١٦٤].

فالإفراط في اللوم قد يحول وسيلة الإصلاح إلى سبب للعناد، أو الحقد، أو النفور من المربي، ولذلك ينبغي أن يبقى اللوم وسيلةً مؤقتةً تُستعمل عند الحاجة، ثم يتبعها التشجيع وإعادة بناء العلاقة، حتى لا يفقد الناشئ ثقته بنفسه أو بمربيه.

رابعًا: أسلوب تحمُّل مسؤولية الخطأ وإصلاح آثاره

يقوم هذا الأسلوب على تعويد الناشئ على تحمُّل مسؤولية أخطائه، والسعي إلى إصلاح الآثار التي ترتبت عليها؛ لأن التربية الإسلامية لا تكتفي بأن يعترف الإنسان بخطئه أو يندم عليه، بل تدعوه إلى المبادرة لإصلاح ما أفسده، وردِّ الحقوق إلى أصحابها، وتعويض ما يمكن تعويضه. وبهذا يدرك الناشئ أن لكل فعلٍ نتيجة، وأن الخطأ إذا ترتب عليه ضرر أو ضياع حق، فلا ينتهي إصلاحه بمجرد الاعتذار، بل يتبعه عملٌ يعالج آثاره ويجبر ما ترتب عليه من ضرر.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذا المعنى في مواضع كثيرة، فجعل الإصلاح قرين التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾[١٦٥].

فلم يكتفِ سبحانه في هذا الموضع بذكر التوبة وحدها، بل قرنها بالإصلاح؛ ومن مقتضيات الإصلاح ردُّ الحقوق ومعالجة آثار الخطأ بحسب ما يقتضيه المورد والحكم الشرعي.

ومن هنا، ينبغي للمربي أن يربي الناشئ على أن تكون أول خطوة بعد وقوعه في الخطأ هي التفكير في كيفية إصلاحه، لا البحث عن تبريرات غير صحيحة أو إلقاء اللوم على الآخرين.

فإذا كسر شيئًا مملوكًا لغيره، اعتذر إلى صاحبه، وتعلّم أن تعويضه يخضع لأحكام الضمان؛ فإذا ثبت الضمان وكان الناشئ غير بالغ وله مال، تولى وليّه الشرعي أداء التعويض من ماله وفق الحكم الشرعي، ولا يكون اقتطاع المال مجرد عقوبة يقدّرها المربي بحسب العمر والقدرة[١٦٦]. وإذا بعثر ألعابه، تولى ترتيبها بنفسه. وإذا كتب على الجدار، شارك في تنظيفه. وإذا أساء إلى أحد، بادر إلى الاعتذار إليه، وجبر خاطره بما يناسب الموقف. وبهذه الطريقة يتعلم أن تحمُّل المسؤولية جزء من علاج الخطأ، وأن الاعتذار الصادق ينبغي أن يقترن بالإصلاح كلما أمكن ذلك.

ويتميز هذا الأسلوب بأن الإجراء الإصلاحي يرتبط بالسلوك نفسه، فيدرك الناشئ العلاقة بين الخطأ ونتيجته، فتترسخ لديه المسؤولية، وقد يكون أثره التربوي أوضح من إجراء لا يفهم صلته بخطئه. وليس كل إصلاح للضرر عقوبة؛ فردُّ الحق إلى صاحبه مثلًا قد يكون واجبًا مستقلًا عن التأديب.



أما العقوبات العشوائية التي لا ترتبط بالخطأ، كحرمانه من الطعام، أو منعه من أمر لا علاقة له بما صدر منه، فقد تحقق ردعًا مؤقتًا، لكنها لا تكفي لتعليمه كيفية تصحيح خطئه. ولا يجوز أن يؤدي التأديب إلى حرمانه من الطعام الذي يحتاج إليه أو الإضرار بصحته.

ويختلف إصلاح الضرر عن الإجراء المعروف في تعديل السلوك باسم «تكلفة الاستجابة» (Response Cost)، ويقصد به سحب مقدار محدد من المعززات المتاحة للناشئ بعد سلوك معين؛ بهدف تقليل تكراره[١٦٧]، كخصم بعض الامتيازات التي كان قد اكتسبها، أو سحب عدد من النقاط أو النجوم إذا كانت الأسرة تعتمد نظام التعزيز بالنقاط داخل المنزل.



أما اقتطاع مبلغ من ماله لتعويض ما أتلفه، فيخضع لأحكام الضمان والتصرف في ماله، ولا يباح لمجرد إدراجه تحت هذا المصطلح. ويشترط في ذلك كله أن يكون بقدر الخطأ، وأن يكون معلومًا للناشئ مسبقًا، وألا يتحول إلى وسيلة للانتقام أو الإذلال، مع مراعاة مشروعية الإجراء وحفظ حقوقه.

ولكي يحقق هذا الأسلوب غايته التربوية، ينبغي أن تكون إجراءات الإصلاح مناسبة لعمر الناشئ وقدرته، وأن تُنفذ بروح الرحمة والعدل، وأن يقصد بها تعليمه تحمل المسؤولية، لا إثقاله بالعقوبات. فإذا بادر إلى الاعتراف بخطئه، وأصلح ما أفسده، وأظهر صدق توبته، فينبغي للمربي أن يقبل منه ذلك، وأن يشجعه ويثني على تحمله للمسؤولية؛ حتى يترسخ في نفسه أن الشجاعة الحقيقية ليست في إنكار الخطأ، وإنما في الاعتراف به وإصلاحه.



خامسًا: أسلوب فرض أعمال إضافية

يقوم هذا الأسلوب على إلزام الناشئ – عند ارتكابه سلوكًا محرمًا شرعًا أو قبيحًا عقلًا – بالقيام بأعمال نافعة ليست من مسؤولياته اليومية المعتادة؛ بقصد إشعاره بنتائج خطئه، وتنمية روح المسؤولية لديه، وربط العقوبة بالإصلاح والتقويم، لا بالإيذاء أو الانتقام، على أن يكون أصل الإلزام والعمل المختار جائزين شرعًا.

فالناشئ تكون عليه في الأصل مسؤوليات يومية ينبغي أن يلتزم بها، مثل: أداء الصلاة، واجتناب المحرمات، والاهتمام بدراسته، والمحافظة على نظافته الشخصية، وتنظيم غرفته، واحترام والديه، والالتزام بآداب التعامل مع الآخرين، والقيام بما يناسب عمره من واجبات أسرية. وهذه المسؤوليات ليست جميعها واجبات شرعية؛ كما أن غير البالغ يُعلَّم الصلاة ويُدرَّب عليها، ولا تجب عليه لمجرد قدرته على أدائها.

فإذا ارتكب بعد ذلك فعلًا محرمًا، أو سلوكًا قبيحًا، أمكن للمربي، في حدود صلاحياته الشرعية، أن يفرض عليه عملًا إضافيًا ليس من واجباته المعتادة، كترتيب جزء من المنزل، أو تنظيف الحديقة، أو حفظ سورة من القرآن الكريم، أو كتابة دعاء كميل أو غيره من الأدعية النافعة عدة مرات بقصد التدبر، أو التبرع ببعض ألعابه أو ثيابه للفقراء، أو غير ذلك من الأعمال التربوية التي تحقق الإصلاح. ويراعى في الأعمال الدينية أن يصاحبها بيان معناها وتشجيع الإقبال عليها، وألا يؤدي الأسلوب المختار إلى تنفيره منها. أما التبرع بألعابه أو ثيابه المملوكة له، فلا يفرض لمجرد التأديب، بل تراعى فيه أحكام التصرف في ماله؛ فكون الغرض خيريًا لا يكفي وحده لجواز إخراج ممتلكاته.[١٦٨]

ويمكن الاستئناس بالكفارات في بيان أن معالجة المخالفة قد تتضمن أعمالًا نافعة؛ إذ إن الشريعة جعلت في بعض المخالفات أعمالًا محددة تُعرف بالكفارات، ولم تقتصر على مجرد اللوم أو العقوبة المجردة. فمن ذلك كفارة

اليمين، قال تعالى: ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ ﴾، ثم قال سبحانه في الآية نفسها: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾[١٦٩]. ففيها إلزام للمكلف بأعمال نافعة تُسهم في معالجة أثر المخالفة وتربية النفس على تحمل المسؤولية. لكن الكفارات أحكام شرعية محددة بأسبابها وشروطها، فلا يستفاد منها وحدها أن للمربي فرض أي عمل يراه نافعًا، أو إلزام الناشئ بعبادة أو تبرع من ماله دون مراعاة الحكم الشرعي. وينبغي للمربي أن يختار العمل الإضافي بما يتناسب مع عمر الناشئ، وقدرته البدنية والنفسية، وظروفه، فلا يجوز تكليفه بما يفوق طاقته أو يعرضه للضرر، كإلزام طفل صغير بحمل أشياء ثقيلة أو القيام بأعمال تفوق طاقته؛ لأن المقصود من التأديب هو الإصلاح، لا الإضرار أو الإهانة.



سادساً: أسلوب سحب المسؤوليات التشريفية الموكلة

يقوم هذا الأسلوب على سحب بعض المسؤوليات والأعمال التشريفية التي أُسندت إلى الناشئ؛ إذا أخلَّ بما تتطلبه من أمانة أو حسن تعامل أو التزام، بسبب سلوك محرم شرعًا أو قبيح عقلًا. ويختلف هذا الأسلوب عن الحرمان المؤقت؛ فهناك يكون التأديب بحرمانه من بعض الامتيازات الشخصية، أما هنا فيكون بتعليق تكليفه بمهمة يعتز بها، وإشعاره بأن استمرار إسنادها إليه يرتبط بحسن أدائها والمحافظة على الأمانة. ولا يعني ذلك إسقاط الثقة به في جميع الأمور أو الحكم على شخصيته كلها بسبب خطأ وقع فيه.

وأيضًا يختلف هذا الأسلوب عن الأسلوب السابق؛ فبعد أن كان التأديب هناك بفرض أعمال إضافية، يكون هنا بسحب بعض الأعمال التشريفية التي كانت موكلة إليه، مع بيان ما يحتاج إلى إصلاحه ليستعيدها.

فكثير من الناس لا ينظرون إلى جميع المسؤوليات على أنها عبء، بل يجدون فيها مصدرًا للفخر والاعتزاز؛ لأنها تعبر عن ثقة الآخرين بهم، ولذلك فإن سحبها منهم قد يكون مؤثرًا في نفوسهم، ولا سيما إذا كانوا يعتزون بها ويرغبون في استمرارها.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما يجري في الحسينيات والمواكب والمجالس الحسينية؛ فقد يُكلَّف أحد الفتيان بتوزيع الطعام على الحاضرين، أو استقبال الضيوف، أو تنظيم المجلس، أو نشر الإعلانات، أو الإشراف على النظافة، أو تعليق اللافتات، أو غير ذلك من الأعمال التي يعتز بها؛ لأنه يشعر بأنه يخدم الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن القائمين على المجلس وثقوا به وأسندوا إليه هذه المهمة.

فإذا صدر منه بعد ذلك سلوك محرم شرعًا أو قبيح عقلًا، كالكذب، أو الاعتداء على الآخرين، أو سوء الأدب، أو مخالفة التعليمات المشروعة المنظمة للعمل، وكان سلوكه يخل بأداء المهمة أو بحقوق المشاركين، أمكن للمسؤول المخوَّل بإسنادها أن يسحب منه هذه المسؤولية مدةً محددة، ويقول له مثلًا:

«نحن نقدر مشاركتك في خدمة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذه المهمة تحتاج إلى الأمانة وحسن التعامل والالتزام. وقد صدر منك هذا التصرف الذي أخلَّ بذلك، ولذلك سنوقف تكليفك بهذه المهمة مدة كذا، ونعينك خلالها على تصحيح الخطأ. ثم نراجع معك ما تحقق من إصلاح والتزام، ونعيد إليك المهمة متى استوفيت شروطها. وإذا تكرر الإخلال بها، فقد نحتاج إلى إسنادها إلى غيرك».



وهنا قد يحزن الناشئ على فقد المهمة، بدل أن يفرح بالتخلص منها؛ لأنه يعتز بالمشاركة فيها، فيكون ذلك دافعًا إلى إصلاح سلوكه واستعادتها. لكن هذه الاستجابة ليست مضمونة؛ فقد يشعر بعض الناشئة بالرفض أو ينصرفون عن المشاركة، ولذلك يلاحظ المربي أثر الأسلوب، ولا يصر عليه إذا أدى إلى نتيجة عكسية.

ولهذا ينبغي أن يكون الحرمان مؤقتًا، وأن يقترن ببيان واضح أن سبب سحب المهمة ليس الانتقام، وإنما معالجة الإخلال بمتطلباتها، مع بقاء احترام الناشئ وتشجيعه على الإصلاح. فإذا أصلح الخطأ واستعاد القدرة على الالتزام، أعيدت إليه، ما دامت متاحة ومناسبة له. ولا يُحرَم من أصل الحضور أو سائر الأعمال النافعة لمجرد سحب مهمة معينة منه.

وقد نُقل عن آية الله محيي الدين الحائري الشيرازي (قدس سره) أنّ والدته كانت رائدة ذكية في تربية أبنائها، فكانت إذا أخطأ أحد أبنائها تمنعه من المشاركة في بعض أعمال المنزل مدةً من الزمن، وكانوا يعدون المشاركة فيها علامة على الثقة والتقدير. فكان الحرمان منها يدفعهم إلى تصحيح أخطائهم والحرص على العودة إلى المشاركة[١٧٠].

وهذا من الأساليب التربوية التي قد تنفع إذا كان الناشئ يعتز بالعمل، وكان الحرمان مناسبًا للموقف ومصحوبًا بفرصة واضحة للعودة. وهو يحافظ على مكانة العمل النافع بوصفه مجالًا للمشاركة والتقدير، فيدرك أن خدمة الأسرة أو المجتمع نعمة وتشريف، وأن المحافظة عليها تكون بحسن الخلق والانضباط.

ومما يُستأنس به في أهمية الكفاءة والأمانة عند إسناد الأعمال قول الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[١٧١].

فالآية تبرز أهمية القوة والأمانة فيمن يُختار للعمل. ونستفيد من هذا المعنى تربويًا أن إسناد المهمة واستمرارها يرتبطان بالقدرة على أدائها وحفظ

أمانتها. أما سحبها مؤقتًا بقصد التأديب، فهو تطبيق تربوي يحتاج إلى تقدير مناسب، وليس حكمًا تنص عليه الآية مباشرة.

ويَرِدُ في شأن الإمامة الإلهية قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.[١٧٢]

فقد استدل علماء الإمامية بهذه الآية على اشتراط العصمة في الإمام، وأن من تلبس بالظلم لا ينال هذا المقام الإلهي[١٧٣]. ولذلك لا نجعلها دليلًا مباشرًا على سحب المسؤوليات المنزلية أو الخدمية من الناشئ؛ لاختلاف مقام الإمامة عن هذه المهام. ويكفي في بيان الأسلوب هنا ربط المهمة بمتطلباتها من أمانة وكفاءة، مع مراعاة غرض الإصلاح وحفظ كرامة الناشئ.



سابعًا: أسلوب إشراك الناشئ في اختيار العقوبة

يقوم هذا الأسلوب على إشراك الناشئ في اختيار العقوبة التربوية المناسبة؛ ليشعر بأنه شريك في تحمل مسؤولية خطئه، لا مجرد متلقٍّ للعقوبة، مما قد يساعده على تقبلها والالتزام بتنفيذها. ويشترط أن تكون الخيارات المعروضة مشروعة ومناسبة لعمره وقدرته وخطئه؛ فموافقته على إجراء معين لا تجعل غير المشروع مشروعًا. ويمكن تطبيق هذا الأسلوب بإحدى الطريقتين الآتيتين:

الطريقة الأولى: أن يحدد المربي ثلاث عقوبات تربوية مناسبة، ثم يطلب من الناشئ اختيار إحداها.

الطريقة الثانية: أن يطلب المربي من الناشئ اقتراح ثلاث عقوبات مناسبة لخطئه، ثم يختار المربي إحداها.

ومن أمثلة العقوبات التربوية التي يمكن عرضها عليه:

- الحرمان من الألعاب الإلكترونية عدة أيام.
- حفظ عدد من الآيات القرآنية المرتبطة بالخطأ الذي ارتكبه، مع فهم معناها، ومراعاة ألا تؤدي طريقة التكليف إلى تنفيره من القرآن الكريم.
- صيام يوم أو يومين، إذا كان بالغًا وقادرًا على الصيام، واختاره برغبته، مع مراعاة شروط صحة الصوم ومشروعيته؛ فلا يصح الصوم المستحب ممن عليه قضاء شهر رمضان، ويمكنه أداء القضاء بدلًا منه إذا توفرت شروطه.[١٧٤]
- غسل الملابس أو القيام ببعض أعمال المنزل، بما يناسب قدرته.
- تدريس أخيه الأصغر أو مساعدته في واجباته، إذا كان قادرًا على ذلك، مع حفظ حق الأخ في تعليم مناسب ومعاملة حسنة.
- الحرمان من الذهاب إلى النادي الرياضي أو مدينة الألعاب مدة محددة، مع

إبقاء فرص مناسبة للحركة والنشاط.

• القيام بعمل نافع يخدم الأسرة أو المجتمع.

ويستحسن أن تكون العقوبة مرتبطة بطبيعة الخطأ كلما أمكن؛ فإذا كان قد وقع في الغيبة أو نشر شائعة أو أساء إلى أحد المؤمنين، فيُطلب منه حفظ آيات مناسبة تتناول هذا السلوك أو ما يتصل به، ويحدد مقدارها بحسب قدرته، مع مطالعة تفسيرها في أحد تفاسير الشيعة المعتبرة وبيان معناها للمربي.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾[١٧٥]، إذا تعلق الخطأ بإشاعة الفاحشة



بين المؤمنين. أما الغيبة فيناسبها أيضًا قوله تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾[١٧٦]، وبذلك يمكن أن يصبح الإجراء وسيلة تعليمية تعالج أصل المشكلة، مع إصلاح ما ترتب على الخطأ من ضرر، فلا يكون حفظ الآيات بديلًا عن رد الحقوق أو تصحيح الشائعة.

وقد يُقال: إن الناشئ إذا طُلب منه اقتراح العقوبة، فسيختار أمورًا يسيرة لا تحقق الغرض التربوي، كأن يقترح النوم مبكرًا، أو ترتيب سريره، أو الصمت مدة قصيرة.

والجواب:

أن للمربي رفض ما لا يحقق التأديب، وأن يوضح سبب الرفض، ثم يساعده على اقتراح إجراء مناسب. وليس المقصود البحث عن العقوبة الأشد؛ فقد يكفي إجراء يسير إذا حقق الإصلاح.

وإذا تعذر الاتفاق، عرض المربي خيارات واضحة ومناسبة، بدل إطالة التفاوض وإبقائه مصدرًا للضغط.

ومن المؤسف أن بعض المربين قد يرفضون هذا الأسلوب؛ لأنه لا يشبع غضبهم، ويفضلون الضرب أو الصراخ أو السب والشتم. وهذا يخلط بين إصلاح الخطأ وتفريغ الغضب؛ فالتأديب غايته الإصلاح، ولا يبيح الإهانة أو الإيذاء غير المشروع. ولا يصح تعميم هذا الدافع على كل مربٍّ لا يختار هذا الأسلوب؛ فقد لا يناسب بعض المواقف أو بعض الناشئة.

ولهذا فإن هذا الأسلوب قد يساعد المربي على ضبط انفعاله، ويمنح الناشئ فرصة لمراجعة نفسه، ويحول الحوار إلى بحث مشترك في الخطأ وكيفية إصلاحه، فتكون العقوبة أقرب إلى تحقيق الإصلاح.

ومن أعظم مزايا هذا الأسلوب أن مجرد جلوس الناشئ للتفكير في كيفية معالجة خطئه قد يكون لونًا من ألوان التربية؛ لأنه يدخل في حوار داخلي مع نفسه، فيراجع سلوكه، ويتأمل نتائج خطئه، ويبدأ بتقويم ذاته قبل أن يوقع عليه غيره العقوبة.

وقد ورد عن الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «حاسِبُوا أَنْفُسَكُم قَبْلَ أَنْ تُحاسَبُوا»[١٧٧].

فمحاسبة النفس هي أصل تربوي عظيم حثت عليه الشريعة، يقوم على مراجعة الإنسان لأعماله قبل أن يُحاسب عليها يوم القيامة. والرواية تدعم أصل محاسبة النفس، ولا تنص على طريقة اختيار العقوبة بعينها.

كما ينبغي أن يعلم الناشئ منذ البداية أن تكرار الخطأ يستدعي مراجعة أسباب تكراره ومدى مناسبة الإجراء السابق؛ فقد يحتاج إلى مزيد من التعليم أو التدريب أو المتابعة، وقد يحتاج إلى إجراء آخر مشروع ومتناسب. ولا يدل التكرار وحده على العناد، ولا يستوجب التشديد في كل مرة.

وقد ينفع هذا الأسلوب في بعض الأسر؛ لأن الناشئ عندما يختار العقوبة ثم ينفذها، قد يكون أكثر استعدادًا لتحمل مسؤولية سلوكه، خصوصًا إذا فهم سبب الإجراء وشعر بعدالته. ومع ذلك، لا يكفي اختياره وحده لضمان زوال مشاعر الظلم أو الإهانة، بل تبقى طريقة التطبيق وحفظ الكرامة ورابطة المحبة والاحترام أمورًا أساسية.

ويترتب على هذا الأسلوب عدد من الفوائد التربوية المحتملة، من أهمها:

١. أنه يدرب الناشئ على الموازنة بين الخيارات، وفهم نتائجها، والمشاركة في اختيار الإجراء المناسب للإصلاح. وقد ينتفع بهذا التدريب لاحقًا في ترجيح الخيار الأقل ضررًا عند تعذر الوصول إلى الخيار الأمثل؛ إذ قد يجد الإنسان نفسه أحيانًا أمام عدة خيارات لا يخلو واحد منها من المشقة أو المفسدة، فيتعلم اختيار الأصلح أو الأقل ضررًا.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرَّيْنِ».[١٧٨]

ولا يعني ذلك أن الأفضل تربويًا أن يبحث الناشئ دائمًا عن العقوبة الأخف؛ فالمعيار هنا مناسبة الإجراء للإصلاح، مع مشروعيته وتناسبه مع الخطأ.

فقد يجد الشاب نفسه أمام عدة وظائف لا يرغب في أي منها لما فيها من مشقة، إلا أن حاجته إلى النفقة تدفعه إلى اختيار أنسبها وأقلها ضررًا، ما دامت جميعها أعمالًا مباحة شرعًا، حتى تتيسر له فرصة أفضل.

٢.أنه يساعد على غرس مبدأ محاسبة النفس وتأديبها قبل أن يؤدبه الآخرون؛ لأن الإنسان مع تقدمه في العمر واتساع استقلاله لم يعد يجد في كل موقف من يراقبه أو يعاقبه، وإنما يحتاج إلى تقوية رقابته على نفسه.

ومن وسائل ذلك أن يختار الإنسان لنفسه عملًا صالحًا أو إجراءً مشروعًا إذا وقع في ذنب أو تقصير، كأن يقرر بينه وبين نفسه أنه إذا اغتاب مؤمنًا تصدق بمبلغ معين على فقير، أو صام يومًا مستحبًا، أو ألزم نفسه بعمل صالح، أو حرمها من بعض المباحات مدةً محددة؛ حتى لا تعتاد التساهل في المعصية، ويصبح ذلك دافعًا له إلى مجاهدة نفسه والابتعاد عن الخطأ. ولا يغني هذا عن التوبة وإصلاح ما ترتب على الذنب من حقوق، كما تراعى شروط مشروعية العمل المختار. والمقصود هنا قرار شخصي للمجاهدة، لا إنشاء نذر أو عهد شرعي؛ فلكل منهما أحكامه وشروطه.

ويشهد لأصل إتاحة الاختيار في بعض الموارد أن الشريعة الإسلامية جعلت المكلف في بعض الكفارات مخيرًا بين عدة خصال، كما في كفارة الإفطار العمدي في شهر رمضان عند تحقق موجبها، حيث يُخيَّر بين عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا[١٧٩].

وهذا يدل على أن إتاحة الاختيار بين عدة وسائل مشروعة لتحقيق الغرض المقصود أصلٌ أقرته الشريعة في بعض الموارد، وإن كان ذلك في باب الأحكام الشرعية، فيمكن الاستئناس بذلك في المجال التربوي، مع عدم

القياس بين البابين، وعدم استنتاج جواز إجراء تربوي معين من مجرد وجود التخيير في الكفارات.

ومن الآداب المهمة في هذا الأسلوب ألا يُعَيَّر الناشئ بخطئه بعد تنفيذ العقوبة، ولا يُذلَّ أو يُحقَّر بسببه؛ لأن العقوبة إذا أُدِّيت فلا ينبغي إبقاء الناشئ تحت وطأتها بالتعيير المستمر، مع بقاء ما يلزم من متابعة أو إصلاح لحقوق لم تُؤدَّ بعد. أما الاستمرار في تعييره بعد ذلك فيوحي بأن العقوبة ما زالت قائمة، مما قد يورث في نفسه مشاعر المهانة أو الحقد، ويضعف ثقته بنفسه، وقد يدفعه إلى العناد والإصرار على الخطأ بدلًا من التوبة والإصلاح، فتتحول العقوبة من وسيلةٍ للتقويم إلى سببٍ للنفور وتعثر الإصلاح.

وقد ورد في الرواية عن النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه أنكر سبَّ المرأة الغامدية؛ إذ سبَّها خالد بن الوليد أثناء إقامة الحد عليها، فقال له: «مهلًا يا خالد، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»[١٨٠]. والمقصود بصاحب المكس هنا من يأخذ أموال الناس بغير حق.

ويُستفاد من هذا الموقف النهي عن سبّ التائب، وأن وقوع الإنسان في الذنب لا يبيح إهانته. ونستأنس بهذا المعنى في معاملة الناشئ بعد تصحيح خطئه؛ فنحفظ كرامته، ونعينه على بداية جديدة، دون تعيير مستمر بزلته.

ثامنًا: أسلوب العقد التربوي (الاتفاق السلوكي)

يقوم هذا الأسلوب على إبرام اتفاق واضح بين المربي والناشئ، يحدد السلوك المطلوب، والتزامات كل طرف، والنتائج المترتبة على الالتزام أو الإخلال بذلك الاتفاق. ويُعد هذا الأسلوب من الوسائل التربوية التي قد تساعد على تعديل السلوك؛ لأنه يتيح للناشئ المشاركة في تحديد المطلوب وكيفية متابعته، ويعينه على تحمُّل المسؤولية والالتزام بما وافق عليه بنفسه.[١٨١]



ويتميز هذا الأسلوب بأنه قد يعزز شعور الناشئ بالاحترام والثقة، ويبعده عن الشعور بأن العقوبات تُفرض عليه بصورة مفاجئة أو بدافع الغضب؛ إذ تكون الإجراءات المحددة في الاتفاق معلومة ومتفقًا عليها مسبقًا، مما يساعد على وضوح التعامل، وقد يزيد تقبله لها. ومع ذلك، لا تصبح الإجراءات عادلة أو مشروعة لمجرد الموافقة عليها؛ بل يجب أن تكون مناسبة في أصلها وطريقة تطبيقها.

وهذا الأسلوب ليس غريبًا عن حياة الناس، بل يشبه من جهة الوضوح وتحديد الالتزامات ما يجري في كثير من معاملاتهم اليومية؛ إذ تقوم العقود على اتفاق واضح يحدد حقوق كل طرف وواجباته، والآثار المترتبة على الإخلال بها.

فمن يستأجر منزلًا – مثلًا – يوقع مع المالك عقدًا يلتزم فيه بدفع الأجرة في موعدها، والمحافظة على المنزل، وإشعاره قبل إخلائه بالمدة المتفق عليها، مع بيان ما يلتزم به المالك أيضًا، وما يترتب على الإخلال بالشروط الصحيحة وفق الأحكام والأنظمة المعمول بها. ثم يوقع الطرفان على العقد، وقد يُوثق بحضور الشهود أو لدى الجهات المختصة؛ حفظًا للحقوق، ومنعًا للنزاع.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى توثيق الدَّين المؤجل، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾[١٨٢]، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.[١٨٣]

ونستأنس بما في هذه التوجيهات من عناية بتوثيق الالتزامات والوفاء بها، دون أن نجعل الاتفاق التربوي مماثلًا للعقود الشرعية في أحكامه. فإن كتابة الاتفاق بين المربي والناشئ، وتحديد ما يلتزم به كل طرف، والآثار المترتبة على الإخلال به، قد تجعل التعامل أكثر وضوحًا وعدلًا، وتساعد على غرس قيمة الوفاء بالعهود، وتحمل المسؤولية، واحترام الالتزامات.

ويستحسن أن يكون هذا الاتفاق مكتوبًا، وموقعًا من الطرفين، ولا سيما مع

المراهقين، وأن يتضمن السلوك المطلوب، والمدة الزمنية للالتزام، والحوافز المترتبة على النجاح، والعقوبات التربوية المناسبة عند الإخلال بالاتفاق، مع مراعاة أن تكون جميع البنود مشروعة، وممكنة التطبيق، وواضحة لا تحتمل الغموض. ويحدد كذلك كيف تُتابع النتيجة، ومتى يُراجع الاتفاق، وما المساعدة التي يقدمها المربي.

والأفضل البدء بسلوك محدد أو عدد قليل من السلوكيات، بدل جمع مطالب كثيرة في اتفاق واحد.

ومن التطبيقات العملية لذلك أن يكتب الناشئ بمشاركة المربي:

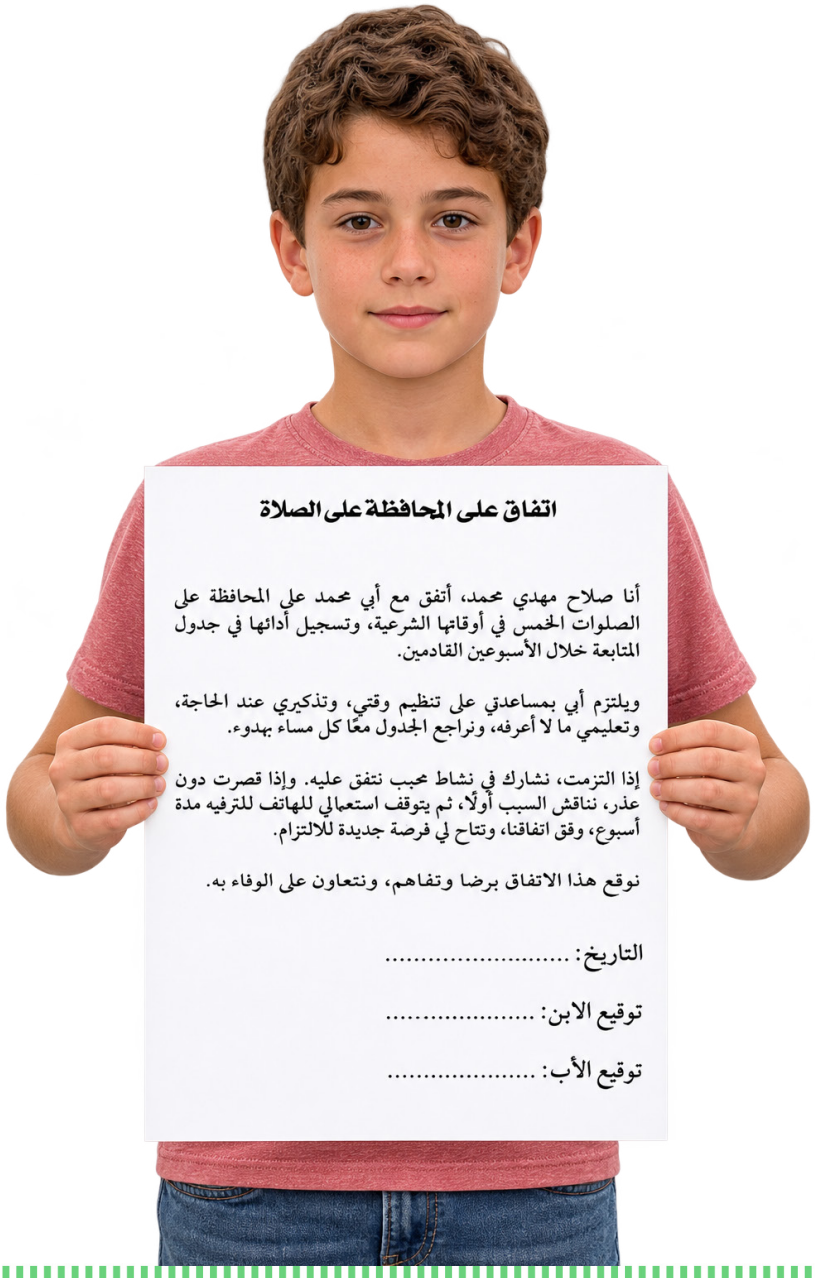
«أنا (فلان بن فلان)، أتفق مع (اسم المربي) على المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها الشرعية خلال الأسبوعين القادمين، وعلى تسجيل أدائها في جدول المتابعة. ويلتزم المربي بمساعدتي على تنظيم وقتي، وتذكيري عند الحاجة، وتعليمي ما لا أعرفه.

ونراجع الجدول كل مساء بهدوء. وإذا التزمت بالاتفاق، أختار نشاطًا مشتركًا مباحًا من الخيارات التي حددناها. وإذا أخللت به، نعرف السبب أولًا، ثم نطبق الإجراء التربوي المشروع الذي حددناه هنا: (يُكتب الإجراء ومدته بوضوح). وفي نهاية الأسبوعين نراجع ما تحقق وما يحتاج إلى تعديل».

وهذا المثال لمن وجبت عليه الصلاة؛ أما غير البالغ فيُصاغ الاتفاق على التدريب المناسب لفهمه وقدرته. وتحديد مدة للمتابعة لا يعني أن وجوب الصلاة على البالغ ينتهي بانتهائها.

ثم يوقع الناشئ والمربي على الاتفاق، ويمكن عند الحاجة الاستعانة بأحد أفراد الأسرة لمتابعته، مع حفظ خصوصية الناشئ، ولا يلزم إشهاد شخصين عليه. والمقصود أن يكون وثيقة تربوية تُذكر الطرفين بما اتفقا عليه، دون تقديمه للناشئ بوصفه عقدًا قانونيًا، أو نذرًا أو عهدًا شرعيًا مع الله تعالى؛ فلهذه الأمور أحكامها وشروطها الخاصة.[١٨٤]

ولكي يحقق هذا الأسلوب غايته، ينبغي أن يقوم على الرضا والاقتناع، لا على الإكراه، وأن تكون بنوده عادلة ومتناسبة مع عمر الناشئ وقدراته، وأن يلتزم المربي بما تعهد به كما يطالب الناشئ بالوفاء بما التزم به؛ لأن إخلال المربي بالاتفاق قد يضعف ثقة الناشئ، ويقلل أثر هذا الأسلوب في نفسه. وإذا ظهر أن أحد البنود غير مناسب أو متعذر التطبيق، راجعه الطرفان وعدّلاه بوضوح، بدل الاستمرار فيه لمجرد أنه كُتب ووُقِّع.



تاسعًا: أسلوب إثابة المحسن والثناء عليه

يُعدُّ إثابة المحسن والثناء عليه من الأساليب التربوية المؤثرة في تقويم السلوك؛ لأن الإنسان يميل إلى حب التقدير والاحترام، فإذا رأى أن الطاعة وحسن الخلق والاجتهاد سببٌ لنيل الثناء والتقدير، فقد يزداد تمسكًا بها، ويحرص على المحافظة عليها. كما أن رؤية ثمار الإحسان قد تدفع المقصر إلى مراجعة نفسه، وتوقظ في داخله الرغبة في إصلاح سلوكه واللحاق بأهل الخير. ويراعى أن يقترن التقدير بتعريفه بقيمة العمل ورضا الله تعالى عنه، حتى لا يصبح انتظار الثناء دافعه الوحيد.

وقد أشار أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى هذا المعنى بقوله: «ازجرِ المسيءَ بثوابِ المحسن»(١٨٥).

ومعنى الحديث أن المربي قد لا يحتاج في بعض المواقف إلى توجيه اللوم المباشر للمسيء، بل قد يكون الثناء على المحسن وإظهار حسن فعله أبلغ أثرًا في تقويم المقصر؛ لأنه يرى تقدير الإحسان، فيرغب في الاقتداء به لينال مثل ذلك التقدير، دون حاجة إلى مقارنته بالمحسن مقارنة جارحة.

فلو كان للمربي ولدان، أحدهما محافظ على الصلاة والآخر متهاون بها، فمن المناسب أن يثني على الملتزم، فيقول له: «بارك الله فيك، أحسنت، أسأل الله أن يزيدك توفيقًا وثباتًا». فقد يكون لهذا الثناء أثرٌ في إيقاظ ضمير الابن المقصر، فيدفعه إلى المحافظة على الصلاة دون حاجة إلى كثرة اللوم أو التوبيخ. ولا يغني ذلك عن معرفة سبب تهاونه وتعليمه ومساعدته، كما لا يُجعل الثناء وسيلة للتعريض به أو إحراجه.

فإن قيل: أليس مدح أحد الأبناء أمام إخوته قد يثير الغيرة أو الحسد بينهم، كما حصل بين إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟

فالجواب: قد يثير الثناء الغيرة إذا صاحبه تفضيل جارح أو مقارنة أو إهمال لبقية الأبناء. أما قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فلا تذكر أن ما وقع كان بسبب مدحه أمام إخوته؛ وإنما تذكر شعورهم بأنه وأخاه أحب إلى أبيهم منهم. ولتقليل

الآثار غير المرغوبة في تطبيق هذا الأسلوب، ينبغي مراعاة الضوابط الآتية:

١. المقصود هو العدل لا المساواة المطلقة في المكافأة

أكد الإسلام على العدل بين الأبناء، ولا يعني العدل تطابق المكافآت في جميع الأحوال؛ فقد تختلف بحسب العمل والجهد والحاجة. وفي المقابل،



لا يعني اختلاف المكافأة على العمل جواز الانتقاص من حق أحد الأبناء في الرعاية والاحترام والاهتمام. فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، أما المساواة فقد تكون من مقتضياته في بعض الموارد، وقد لا تحقق الإنصاف في موارد أخرى.

فلو اشترك ولدان في مسابقة، فأجابا الإجابات نفسها، واستحق كل منهما الدرجة نفسها، كان من العدل أن يمنحا الجائزة نفسها، إذا كانت شروط المسابقة تقضي بذلك. أما إذا حصل أحدهما على الدرجة الكاملة، بينما حصل الآخر على درجة أقل، فيمكن أن تختلف الجائزة بحسب القواعد المعلنة، مع تقدير جهد كل منهما. ولا نحكم بأن الأقل درجة مقصر لمجرد انخفاض نتيجته؛ فقد اجتهد واختلفت قدرته أو ظروفه.

ولهذا يُمدح البار بوالديه، والمتقي، والمجتهد، والمحسن، ويُثنى على كل واحد منهم ويُقدَّر إحسانه، ولا يُعطى المقصر أو المسيء في ذلك الجانب الثناء نفسه على عمل لم يؤده أو سلوك لم يلتزم به؛ حتى يبقى الثناء صادقًا ودالًا على موضع الإحسان.

ولا يعني ذلك أن المسيء يُحرم من الثناء مطلقًا؛ بل يُمدح على ما يصدر منه من أعمال صالحة، ويُعاتب على ما يقع فيه من تقصير أو إساءة، دون اختزال شخصيته في خطئه أو وصفه وصفًا جارحًا عامًا.

وقد أكد أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذا الأصل بقوله: «ولا يكوننَّ المحسنُ والمسيءُ عندك بمنزلةٍ سواء؛ فإنَّ في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبًا لأهل الإساءة على الإساءة»[١٨٦].

وهذا النص وارد في عهد الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمالك الأشتر، ونستفيد منه تربويًا أهمية تقدير الإحسان وعدم إهمال أثره، مع بقاء الحقوق التي يشترك فيها الجميع محفوظة.

فإذا رأى الناشئ أن إحسانه لا يُلاحظ، وأن الإساءة لا تعالج، فقد تضعف رغبته في الإحسان، أما إذا رأى أن لكل عمل أثره، فقد يزداد حرصًا

على الاستقامة وبذل المزيد من الخير.

٢. أن يكون الثناء بقصد التربية لا بقصد الإهانة

إن هذا الإشكال قد يرد إذا كان الثناء على المحسن يراد به تحقير المقصر أو كسر نفسيته، أما إذا كان المقصود منه تعزيز السلوك الحسن وتشجيع الآخرين على الاقتداء به، فإنه قد يكون مؤثرًا، بشرط مراعاة طريقة عرضه وأثره في الأبناء؛ فحسن القصد وحده لا يكفي إذا كان التطبيق جارحًا.

ولهذا لا يجوز أن تتحول لحظة تكريم أحد الأبناء إلى مناسبة لتوبيخ أخيه أو السخرية منه، فلا يقال له: «أنت فاشل»، أو «لن تنجح أبدًا»، أو «انظر إلى أخيك، فهو أفضل منك في كل شيء»؛ فإن هذه العبارات قد تضعف ثقته بنفسه وتزيد الغيرة والنفور، ولا تبين له كيف يصلح سلوكه.[١٨٧]

والأسلوب الصحيح أن يُشجَّع المقصر على تطوير نفسه، فيقال له: «أنت اليوم أفضل من الأمس»، إذا كان قد تقدم فعلًا، مع بيان ما أحسنه، أو «أثق أنك قادر على أن تكون أفضل إذا اجتهدت». كما يمكن ربطه بالقدوات الصالحة من الأنبياء والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ليكون تنافسه في الخير، لا في تحقير الآخرين.

٣. التفريق بين محبة الابن والرضا عن سلوكه

من أعظم الأخطاء التربوية أن يشعر الابن بأن محبة والديه وقبولهما له مشروطان بألا يخطئ؛ لأن ذلك قد يضعف شعوره بالأمان ويجعله يخشى المصارحة بخطئه.

والمنهج الصحيح أن يطمئن جميع الأبناء إلى محبتهم ومكانتهم لدى والديهم، مع بيان أن الرضا عن التصرف يختلف باختلافه.

فيمكن للمربي أن يقول: «أنا أحبكم جميعًا، ولكل واحد منكم مكانته عندي، ولكني أرضى عن العمل الذي يرضي الله، ولا أرضى عن العمل الذي يغضبه».

فإذا أحسن أحد الأبناء قيل له: «أنا أحبك، وقد سرني هذا العمل الطيب».

وإذا أساء الآخر قيل له: «أنا أحبك كما أحب إخوتك، ولكنني غير راضٍ عن هذا التصرف، وأثق أنك قادر على إصلاحه».

وبذلك يدرك الناشئ أن المطلوب هو إصلاح السلوك، وأن خطأه لا يعني رفضه أو التخلي عنه.

٤. الاعتدال في مدح المحسن وحسن تطبيق الأسلوب

ينبغي أن يكون الثناء على المحسن بقدر الحاجة، ومن غير مبالغة أو تكرار يثير الغيرة في نفوس إخوته، ولا سيما من يكون أشد حساسية للتفضيل أو أكثر حاجة إلى الاطمئنان والتقدير. ويكون الثناء صادقًا ومحددًا، مثل: «أحسنت حين أعدت الأمانة إلى صاحبها»، بدل المبالغة في وصفه بأنه الأفضل دائمًا.

فإذا التزم المربي بالعدل، وأظهر المحبّة لجميع أبنائه، وابتعد عن المقارنات الجارحة، ثم ظهرت الغيرة، استمع إلى الولد وراجع طريقة التطبيق؛ فقد يكون لديه شعور بالإهمال، أو فهم غير صحيح للموقف، أو حسد يحتاج إلى معالجة. ولا نحكم من مجرد غيرته بأنه أناني أو ضعيف الإيمان.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما وقع بين إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إذ قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُبِينٍ﴾[١٨٨]، ولم يكن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ظالمًا؛ لأنه نبي معصوم، ويُحتمل أن يُستفاد من القصة أن شعور الأبناء بالتفضيل لا يدل وحده على وقوع الظلم من الوالدين؛ فقد يتأثر حكمهم بالغيرة والحسد، فيسيئون فهم المعاملة. ومع ذلك، لا يعفي هذا الاحتمال المربي من مراجعة عدله وطريقة إظهاره المحبة والتقدير لأبنائه.[١٨٩]

٥. فهم الغيرة ومعالجة الحسد إذا ظهر

إذا ظهرت الغيرة بين الأبناء، فلا يكفي علاج المشكلات الظاهرة، بل

ينبغي فهم سببها، ومراجعة العدل والاهتمام وطريقة الثناء، ثم معالجة الحسد إن تبين وجوده. فالغيرة لا تعني دائمًا تمني زوال النعمة عن الآخر؛ فقد يعبر بها الولد عن حاجته إلى الاهتمام أو خوفه من فقد مكانته.

والحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير، وهو خلق مذموم؛ لأنه قد يورث العداوة والبغضاء، ويدفع إلى الظلم والاعتداء. أما الغبطة، فهي أن يتمنى الإنسان أن يرزقه الله مثل ما رزق غيره، من غير أن يتمنى زوال النعمة عنه، وتكون محمودة إذا تعلقت بطاعة أو خير مباح، ودفعت إلى السعي المشروع.

ولهذا ينبغي أن يربي المربي أبناءه على الفرح بنجاح الآخرين، والدعاء لهم بالبركة، والاجتهاد في تحصيل النعم بالطريق المشروع، وأن يبين لهم أن عطاء الله لأحد لا يعني حرمان غيره من فضله، وأن فضل الله واسع يؤتيه من يشاء. ويعين كل ولد على معرفة ما يحسنه وما يستطيع تطويره، ويقدر تقدمه، بدل إبقائه منشغلًا بما ناله إخوته.

وبذلك يمكن أن يكون الثناء على المحسن وسيلةً لترغيب الجميع في الإحسان، مع متابعة أثره وتصحيح تطبيقه إذا أثار تنافسًا مؤذيًا أو شعورًا بالإقصاء.

عاشراً: أسلوب الإنذار قبل العقوبة

يقوم هذا الأسلوب على إشعار الناشئ بأن استمراره في السلوك الخاطئ سيترتب عليه إجراءٌ تأديبي إذا لم يتراجع عنه، فيمنحه المربي فرصةً واضحة لمراجعة نفسه والتوبة قبل تنفيذ العقوبة. ولهذا فالإنذار غايته الردع والإصلاح وإتاحة فرصة لتجنب العقوبة، لا إرعاب الناشئ أو إبقاؤه في خوف مستمر، فيصحح خطأه بإرادته.

وقد اعتمد القرآن الكريم الإنذار في دعوة الناس إلى الاستقامة وإقامة الحجة عليهم قبل المؤاخذة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[190]، وقال تعالى في خطاب خزنة جهنم للكافرين: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[191]، كما وصف الله تعالى رسله بأنهم منذرون، رحمةً بالناس وإقامةً للحجة عليهم. ونستفيد من ذلك تربويًا أهمية بيان الخطأ وعاقبته قبل المؤاخذة، دون مساواة إجراءات المربي بالعقوبة الإلهية في أحكامها.

ولهذا قد يكفي التنبيه والتلويح عند من يفهم المقصود ويستجيب له، وقد روي عن أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عُقُوبَةُ الْعُقَلَاءِ التَّلْوِيحُ»[192]. والتلويح يحتمل التلميح بالعتاب والتنبيه إلى الخطأ، فلا يلزم أن يكون تهديدًا بعقوبة محددة. فالمربي الحكيم لا يبدأ بالعقوبة، وإنما يبدأ بالتعليم والتوجيه، ثم ينذر عند الحاجة، فإن استجاب الناشئ فقد تحقق المقصود من غير حاجة إلى التصعيد. أما إذا كان هناك أذى أو خطر عاجل، فيوقفه فورًا، ولا ينتظر انتهاء الإنذار.

ومن التطبيقات التربوية لذلك أن يقول المربي بهدوء: «لقد نبهتك أكثر من مرة، فإن كررت هذا السلوك فسأحرمك من استخدام الهاتف يومين»، على أن يكون المقصود استعماله الترفيهي، مع إبقاء ما يحتاج إليه من تواصل أو تعلم. أو: «إذا لم تحافظ على الصلاة فستُمنع من المشاركة في النشاط الذي تحبه»، مع مراعاة بلوغه، ومعرفته بأحكام الصلاة، وسبب تقصيره، ومناسبة

الإجراء ومشروعيته. فإذا استجاب الناشئ انتهى موجب الإنذار، ولم تعد هناك حاجة إلى العقوبة التي عُلِّقت على استمراره في الخطأ.

وقد نُقل عن إحدى بنات الإمام روح الله الخميني (قدس سره) أنه لم يكن يلجأ إلى ضرب أبنائه، فإذا ارتكب أحدهم خطأً كبيرًا نادى: «أحضروا لي العصا»، ثم أخذ يفك أزرار كُمَّيه ويطويهما بهدوء، فيجد الطفل فرصة للابتعاد، ثم يعود معتذرًا بعد هدوء الأجواء[١٩٣].



ويُحتمل أن يكون المقصود من هذا التصرف، بحسب سياق الحكاية، إظهار جدية الموقف مع إفساح المجال للتراجع دون ضرب. لكن الحكاية لا تكفي وحدها لتعميم التلويح بالعصا على الأطفال؛ إذ تختلف استجاباتهم، وقد يشتد خوف بعضهم أو يهرب إلى مكان غير آمن.

ومع ذلك، ينبغي أن يلتزم المربي بضوابط هذا الأسلوب، فلا يهدد إلا بعقوبة مشروعة وممكنة التنفيذ، ومناسبة للموقف، ولا يجعل التهديد كلامًا فارغًا يتكرر دون قصد جاد لمعالجة السلوك. كما لا يتوعد بما يحرم تنفيذه، كأن يقول: «سأقتلك»، أو «سأكسر رأسك»، أو «سأطردك من البيت»، أو غير ذلك من عبارات التهويل؛ فإنها قد تثير خوفًا شديدًا وتضعف شعوره بالأمان والثقة بالمربي. ولا تصبح مقبولة لمجرد أن المربي لا ينوي تنفيذها.

كما لا يجوز تخويف الطفل بالأكاذيب والخرافات، كالغول أو الوحوش الوهمية ونحوها؛ لأن التربية تقوم على الصدق وبناء الثقة، لا على الكذب وإثارة الأوهام. ولا يدخل في ذلك سرد قصة خيالية واضحة للطفل بوصفها خيالًا، دون إيهامه بأنها تهديد حقيقي.

وعلى المربي أن يتذكر دائمًا أن الغاية من الإنذار هي تنبيه الناشئ إلى عاقبة سلوكه وإعانته على تجنبها، ولذلك متى رجع عن خطئه، وأظهر الندم، وبادر إلى الإصلاح، جاز الاكتفاء بذلك متى تحقق الغرض التربوي ولم يبق ما يستدعي إجراءً آخر مشروعًا. ولا يسقط برجوعه حقٌّ لغيره أو إصلاح ضرر تسبب به. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾.[١٩٤]

وبذلك يكون الإنذار فرصة حقيقية للإصلاح، لا مقدمة لعقوبة لا يستطيع الناشئ تجنبها مهما استجاب. فإذا استجاب شجعه المربي على رجوعه، وإذا استمر في الخطأ راجع السبب، واختار الإجراء المشروع المناسب، دون غضب أو تشفٍّ.

الأسلوب الحادي عشر: العقوبة البدنية

العقوبة البدنية، كالضرب، هي عقوبة يُقصد بها إحداث ألم جسدي لشخص ما، وذلك لغرض التأديب أو الإصلاح أو الردع عن سلوك غير مقبول. وهذا تعريف لطبيعتها، ولا يعني جواز استخدامها في كل سلوك يراه المربي غير مقبول.

ولا يكفي لجواز اللجوء إلى هذه العقوبة استنفاد أسلوب التربية بالثواب والتعزيز، وعدم نجاح أشكال العقاب الأخرى التي تم ذكرها في النقاط السابقة، كالحرمان والهجر وغيرها؛ بل لا بد من تحقق الشروط الشرعية.



ووفق فتوى السيد السيستاني، يجوز للولي الشرعي أو المأذون من قبله تأديب الطفل غير البالغ بالضرب في الموارد المذكورة في الفتوى، كارتكاب فعل محرم أو إيذاء الآخرين، إذا توقف التأديب عليه، على أن يكون خفيفًا غير مبرح، ولا يؤدي إلى احمرار الجلد، وألا يتجاوز ثلاث ضربات خفيفة على الأحوط وجوبًا. أما البالغ، فالأحوط وجوبًا عدم ضربه مطلقًا.[١٩٥]

وعليه، لا يُجعل الضرب خطوة لازمة بعد الوسائل السابقة، ولا يُستعمل لمجرد نفاد صبر المربي أو تكرار الخطأ. ومع الأسف نجد بعض المربين يستخدمونه منذ أول خطأ، بل يرونه الأسلوب الوحيد النافع، وهذا قد يولد ردَّ فعلٍ في نفس الصبي، فيكره ما يُطلب منه، كالصلاة، أو يؤديها أمام المربي اتقاءً للضرب دون أن يقترن أداؤه بفهم معناها والإقبال عليها، وقد يدفعه النفور إلى العناد ورفض التوجيه. ولذلك لا يُقاس نجاح التأديب بمجرد الامتثال الظاهر، بل يُنظر أيضًا إلى أثره في فهم الولد وسلوكه وعلاقته بالمربي.

الفصل الرابع:

العقوبة البدنية وحقوق الولد

لا تنتهي مسؤولية المربي باختيار وسيلة التأديب؛ بل تشمل معرفة حدودها الشرعية، وحفظ حقوق الولد وكرامته عند تصحيح خطئه. ولا يكفي قصد الإصلاح لإباحة كل إجراء، بل لا بد من مراعاة الأحكام الشرعية، وتجنب ما يؤدي إلى الاعتداء أو الإضرار بالولد.

وبعد أن بينا ضوابط اختيار العقوبة وتطبيقها في الفصل الثاني، نتناول في هذا الفصل مبحثين: الأول في الروايات الواردة في العقوبة البدنية وشروطها الخاصة، والثاني في حقوق الولد، وما يترتب على تجاوز الحدود الشرعية من دية وإصلاح للضرر.

المبحث الأول: روايات العقوبة البدنية وشروطها الخاصة

وردت روايات تناولها الفقهاء في بحث التأديب البدني، ولا بد من التمييز بين نقل الرواية وبين معرفة الحكم العملي وشروطه من فتوى المرجع.

فلا يختار المربي روايةً أو عددًا من الضربات، ثم يطبقه دون مراعاة سائر الأدلة والضوابط الشرعية.



◆ الروايات الواردة في التأديب البدني

استدلّ الفقهاء على مشروعيّة العقوبة البدنيّة في التربية والتعليم، على القيم والآداب بأدلّة روائيّة عدّة، منها:

◉ سُئل الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أدب الصبيّ، فقال عليه السلام: «خمسة أو ستة وارفق»[١٩٦].

ووردت روايات في التدريب على الصلاة، منها:

◉ روي عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: «... ثم يترك حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمت له عُلِّم الوضوء وضُرب عليه، وأُمر بالصلاة وضُرب عليها».[١٩٧]

◉ وعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر...».[١٩٨]

ولا تعني هذه النصوص جواز الضرب لكل تقصير في الصلاة، أو تطبيق الحكم على البالغ وغير البالغ بالطريقة نفسها؛ بل تُراعى الفتوى وشروطها، مع تقديم التعليم والتدريب.

ومن الروايات التي تُبرز خطورة التجاوز ما روي عن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «ربما ضربت الغلام في بعض ما يحرم»، فقال: «وكم تضربه؟»، فقلت: «ربما ضربته مائة»، فقال: «مائة مائة؟»، فأعاد ذلك مرتين، ثم قال: «حد الزنا، اتق الله».

فقلت: جعلت فداك، فكم ينبغي لي أن أضربه؟ فقال: «واحدًا». فقلت: والله لو علم أني لا أضربه إلا واحدًا ما ترك لي شيئًا إلا أفسده، فقال: «فاثنتين». فقلت: جعلت فداك، هذا هو هلاكي إذًا. قال: فلم أزل أماكسه حتى بلغ خمسة، ثم غضب فقال: «يا إسحاق، إن كنت تدري حد ما أجرم فأقم الحد فيه، ولا تعد حدود الله».[١٩٩]

◆ الشروط الخاصة بالعقوبة البدنية

يقصد بالعقوبة البدنية في الغالب ضرب الأطفال باليد أو باستخدام أداة، ولكن بعض المربين يقومون بعقوبات بدنية أخرى، كالركل، أو الرج العنيف، أو الرمي، أو الخدش، أو العض، أو نتف الشعر، أو الحرق والكي، وهذه الاعتداءات لا يبيحها قصد التربية، وقد تترتب عليها حقوق مالية وأحكام أخرى بحسب الإصابة.

ولا يصبح القرص أو فرك الأذن جائزًا لمجرد أنه لم يترك أثرًا ظاهرًا؛ فلا بد من معرفة حكم الفعل نفسه.

وأما ما يتعلق بالضرب، فتراعى فيه، إضافة إلى الضوابط العامة السابقة، الشروط الآتية:

١. مراعاة البلوغ والفهم

لا يُستعمل مع من لا يفهم سبب التأديب، ولا يُربط الحكم ببلوغ السابعة وحدها. أما البالغ، فالأحوط وجوبًا عدم ضربه مطلقًا، وفق فتوى السيد السيستاني.[٢٠٠]

ولهذا لا تطبق أحكام غير البالغ على البنت أو الصبي لمجرد بقائهما في السن المدرسية. وقد سبق تفصيل التمييز وعلامات البلوغ في الفصل المخصص لهما.

٢. أن يكون من الولي الشرعي أو المأذون من قبله

فليست صفة الأمومة أو الأخوة أو التعليم إذنًا مستقلًا بالضرب، كما أن إذن الولي لا يرفع بقية الشروط والحدود الشرعية.[٢٠١]

٣. أن يكون في مورد تجيزه الفتوى، وأن يتوقف التأديب عليه

فلا يكفي وصف التصرف بأنه «غير مقبول» بحسب ذوق المربي. وقد ذكرت الفتوى ارتكاب فعل محرم أو إيذاء الآخرين، واشترطت توقف

التأديب على هذا الإجراء.[٢٠٢]

٤. أن يكون بقصد التأديب مع رجاء تحقق الغرض

أن لا يكون الضرب لغرض التشفي والانتقام، ولا يستمر المربي في إجراء لا يحقق إصلاحًا أو يزيد المشكلة. ولا يُفهم توقف التأديب عليه على أنه مجرد نفاد صبر المربي أو عدم رغبته في مواصلة التعليم والمتابعة.

٥. أن يكون خفيفًا، وألا يتجاوز المقدار المسموح

الأحوط وجوبًا ألا يتجاوز ثلاث ضربات خفيفة، وأن يكون غير مبرح ولا يؤدي إلى احمرار الجلد.[٢٠٣] ولا يعني هذا استكمال العدد في كل مرة؛ فإذا تحقق الغرض بما دونه، وجب الوقوف عند مقدار الحاجة.

٦. اجتناب ما يعرض الولد للإصابة

ينبغي تجنب كل طريقة تعرض الرأس أو الوجه أو العينين أو غيرها من المواضع الحساسة للإصابة. ولا يباح الضرب الشديد أو المدمّي، ولا اختيار أداة أو طريقة تزيد احتمال الضرر. فإذا تسبب الضرب المحرم في كسر أو جرح أو أثر في البدن ثبتت الدية على المتسبب، بحسب نوع الإصابة وحكمها الشرعي. ودفع الدية عند وقوع الإصابة لا يجعل الاعتداء جائزًا.

وينبغي مراعاة القوانين النافذة في البلد الذي يقيم فيه المربي؛ إذ تحظر معظم الدول الأوروبية العقوبة البدنية للأطفال. وعليه لا بد من التمييز بين بيان الحكم الفقهي وما تحظره القوانين المحلية، مع ضرورة حماية الطفل من الإيذاء والاعتداء.

المبحث الثاني: حقوق الولد وأحكام الدية عند الإضرار به

للولد حقوق لا تسقط بسبب خطئه، ولا يجوز أن تتحول العقوبة إلى اعتداء على بدنه أو كرامته أو ماله. وتظهر أهمية هذه الحقوق في طريقة التصحيح، وفي معالجة ما يقع من تجاوز.



١. حفظ الحاجات الأساسية والكرامة

العقاب لا يطال الأمور الأساسية في حياة الطفل، كمنعه من تناول وجبات الطعام الأساسية أو الاستحمام أو النوم. وكذلك لا يُحرم من العلاج أو غيره مما يحتاج إليه لحفظ صحته وسلامته.

تعامل مع طفلك باحترام أثناء قيامك بتقويم سلوكه؛ لأن أطفالك يتعلمون الكثير منك. فلا تجعل التصحيح مناسبة للسب أو التحقير أو التهديد بالتخلي عنه.

وعليك تجنب استخدام بعض العبارات، مثل: «أنت لن تقدر على الوصول إلى أي شيء»، أو «لن أثق بك مرة أخرى»، أو «أنت دائمًا لا تفعل ما أقوله لك».

وإذا استُعمل الهجر المؤقت وفق ما سبق بيانه، فلا يُجعل صمتًا مفتوحًا أو إهمالًا لحاجته إلى المساعدة، ولا يُحدد طوال اليوم دون مراعاة حاله وأثر الإجراء فيه.

٢. ثبوت حق الولد عند حصول الإصابة

إذا تجاوز المربي فأحدث إصابة، لزمه إيقاف الأذى ومعالجة ما ترتب عليه، ومعرفة الحق الشرعي الواجب أداؤه. والأبوة لا تسقط الدية عند تحقق موجبها؛ فقد نص الاستفتاء على وجوبها على الضارب، أبًا كان أم غيره.[٢٠٤]

كما لا يشترط أن يبقى الاحمرار أو الاسوداد مدة طويلة؛ فمع صدق الأثر يثبت حكمه، وفق الاستفتاء المختص بذلك.[٢٠٥]

رُبَّ تساؤل يرد: ما هي دية الضرب إذا أحدث تغيرًا في لون البدن؟

الجواب: تختلف الدية بحسب نوع التغير وموضعه؛ ففي الاحمرار دينار ونصف من الذهب إذا كان في الوجه، وثلاثة أرباع الدينار إذا كان في البدن. وفي الأزرقاق ثلاثة دنانير في الوجه، ودينار ونصف في البدن. وفي الاسوداد ستة دنانير في الوجه، وثلاثة دنانير في البدن على الأحوط[٢٠٦].

علمًا أن الدينار المذكور هنا وحدة شرعية من الذهب، وليس العملة المتداولة التي تحمل الاسم نفسه. وهو يساوي نحو ثلاثة غرامات ونصف من الذهب.[٢٠٧]

أما الجروح والتورم والكسور وغيرها، فلها أحكام وتفاصيل أخرى؛ فلا تُحصر ديتها في مقادير تغير اللون.

ويمكن التراضي مع المجني عليه أو طلب براءة الذمة منه بعد بلوغه رشده، مع مراعاة شروط صحة التراضي والإبراء، ودون إكراهه على إسقاط حقه[٢٠٨].

وقد ورد في استفتاء خاص السؤال الآتي:

السؤال: كنت في حالة غضب فضربت ابنتي على عينها، فحصل بها تورم ولون أزرق، فما الحكم؟

الجواب: «تجب عليك دفع دية ذلك في الفرض، وبإمكانك احتساب ما تصرفه عليها يوميًا من الدية الواجبة عليك مهما كانت».[٢٠٩]

وعند الاشتباه في كيفية الأداء أو الاحتساب في حالة معينة، يُستوضح الحكم من مكتب المرجع.

٣. إصلاح الضرر وإتاحة بداية جديدة

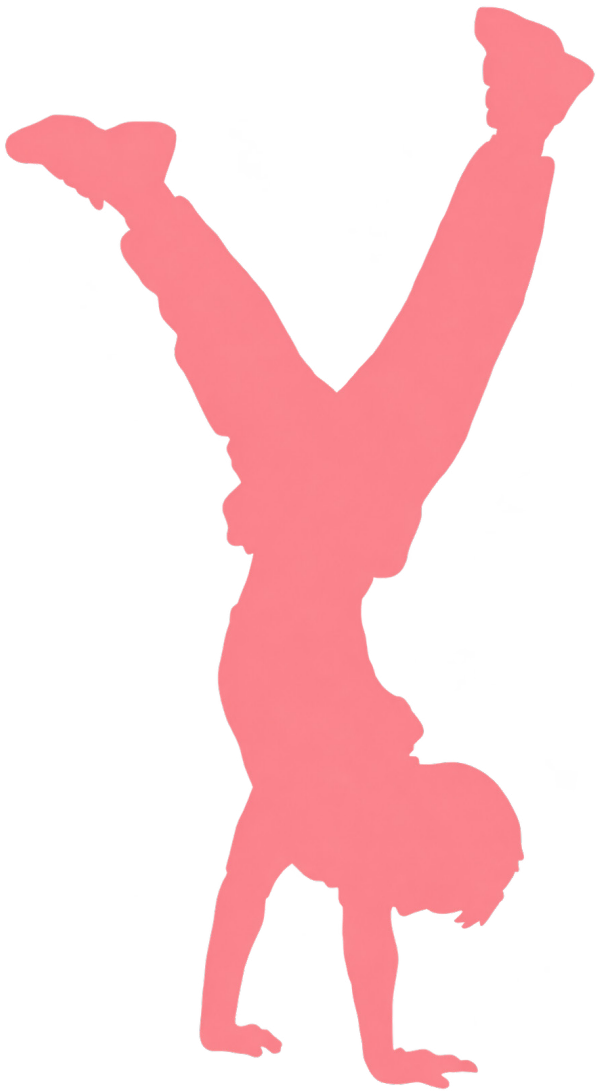
اطلب من طفلك الذي مارس السلوك غير الصحيح أن يصححه مع الإمكان وبما يناسب قدرته. فلو كان الخطأ ترك صلاة واجبة عليه، يُعلَّم التوبة والعودة إلى الصلاة وقضاء ما وجب قضاؤه. أما غير البالغ، فيستمر تدريبه وتعليمه دون معاملته معاملة المكلف.

ولو كان قد سرق، تُرد الأموال إلى أصحابها بالطريقة الشرعية. وإذا كسر إناءً متعمدًا، شارك في تنظيف المكان إذا كان آمنًا ومناسبًا لعمره، وتُعالج مسألة التعويض وفق أحكام الضمان، لا باقتطاع مبلغ من ماله كيفما اتفق.

وإذا أحدث فوضى في الغرفة، اطلب منه أن ينظفها ويعيد ترتيبها.

ويتحمل المربي مسؤوليته أيضًا إذا تجاوز؛ فيقر بخطئه، ويصحح معاملته، ويؤدي ما ترتب عليه من حقوق. فالاعتراف بالخطأ والإصلاح مطلوبان من الكبير والصغير.

ومن المهم أن تتخلى عن الحديث عن المشكلة متى انتهت، فلا تُعاد زلة الولد في كل مناسبة، ولا تُروى أمام الآخرين لإحراجه. وتستمر المتابعة بقدر الحاجة دون تعيير.



الفصل الخامس:

آثار التجاوز والتربية الوقائية

قد يترك تجاوز حدود التأديب آثارًا في نفس الولد وسلوكه وعلاقته بالمربي؛ ولذلك يحتاج المربي إلى فهم هذه الآثار ومراجعة طريقته، مع العناية بما يساعد الولد على معرفة الصواب والعمل به قبل وقوع الخطأ.

ونتناول ذلك في مبحثين: نبيّن في الأول الآثار المحتملة لتجاوز الضوابط الشرعية والتربوية، ونعرض في الثاني أساليب التربية الوقائية وتنمية الرقابة الذاتية.

المبحث الأول: آثار تجاوز الضوابط الشرعية والتربوية



إن المربي الذي يمارس العنف مع أولاده، كالصراخ والسب والشتم والضرب الذي فيه تجاوز للضوابط الشرعية، قد يسهم في حدوث آثار سلبية. وقد ربطت مراجعة علمية للدراسات الطولية بين العقوبة البدنية وزيادة مشكلات سلوكية، دون أن يعني ذلك أن كل ولد تظهر عليه النتائج نفسها أو بالدرجة نفسها[٢١٠].

ومن الآثار المترتبة على تجاوز الضوابط الشرعية والتربوية والتي ينبغي التنبه إليها:

١. تعلم الاعتداء وتقليد ما يراه

عندما يعتاد الطفل أن يُضرب أو يرى الضرب وسيلة لحل الخلاف، فقد يكرر ذلك مع أطفال آخرين، أو ربما الكبار، سواء كان ذلك على سبيل المزاح أو العنف أو الانتقام.

وقد يفهم من تكرار الفعل أمامه أنه طريقة مقبولة للتعامل مع من يخالفه. ولا يجعل وصف الضرب بأنه مزاح الفعل مقبولًا إذا كان مؤذيًا أو مهينًا.

٢. ضعف الثقة بالنفس والشعور بالأمان

يتأثر تصور الولد عن نفسه بطريقة معاملته؛ فتكرار الإهانة والرفض قد يضعف ثقته بنفسه، أو يجعله يخشى الاعتراض على الأذى.

لكن لا نجزم بأن ضربة واحدة تدمر ثقته تمامًا؛ فالأثر يختلف بحسب الموقف وتكراره وعلاقته بمن حوله. ولذلك يحتاج إلى معاملة تبين خطأ التصرف دون أن توحي بأنه عديم القيمة أو عاجز عن الإصلاح.

٣. التباس الفرق بين التأديب والاعتداء

ينبغي أن نعلم الولد الابتعاد عن الأذى وطلب المساعدة، وأن يخبر المعلم أو شخصًا بالغًا موثوقًا إذا اعتدى عليه أحد. وحين يقال له إن الاعتداء مرفوض، ثم يتعرض لتجاوز من المربي، فقد يلتبس عليه الأمر.

ولذلك لا يكفي أن يقال له إن الضرب من حق الأب؛ بل يُفهم، بما يناسب عمره، أن الكبار أيضًا ملتزمون بحدود، وأن التجاوز لا يصبح مقبولًا بسبب القرابة أو السلطة. ويظل من حقه طلب الحماية والمساعدة عند تعرضه للأذى.

٤. بقاء الذكريات المؤلمة واضطراب العلاقة بالمربي

إن الطفل الذي تربى على الضرب المؤذي أو المهين قد تبقى لديه ذكريات مؤلمة، وقد ينفر من المربي أو يكرر بعض ما تعرض له في معاملته للآخرين. وهذه نتائج محتملة، وليست حكمًا حتميًا على مستقبله. ولا يبرر ما تعرض له اعتداءه على غيره، لكنه يدعونا إلى فهم أثر المعاملة ومساعدته على تعلم طريقة أفضل للتصرف. وإذا ظهرت آثار شديدة أو مستمرة، طُلبت المساعدة المناسبة.



المبحث الثاني: التربية الوقائية وتنمية الرقابة الذاتية



ينبغي على المربي أن يقدم الأساليب التربوية الوقائية على أساليب العقوبة؛ فهي تعلم الولد ما يحتاج إليه قبل الخطأ، وتقلل المواقف التي تستدعي التصحيح. والغاية أن يعرف الصواب ويعمل به، لا أن يتوقف عن الخطأ لمجرد وجود من يعاقبه.

ومن معاني ذلك أن يفهم أثر ذنبه، ويعرف أن الله يراه في السر والعلن، مع الرجاء في رحمته وعدم اليأس من الإصلاح. فعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه».[٢١١]

وعن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «ويل لمن أطيع مخافة جوره، ويل لمن أكرم مخافة شره».[٢١٢] ولتنمية هذا الوعي، نستعين بالأساليب الآتية:

١. القدوة الصالحة

من أقوى وسائل التأثير على الطفل أن يرى من يربيه ملتزمًا بما يأمر به، صادقًا فيما يقول، مستقيمًا في سلوكه. فالفعل يوضح له كيف يعمل بالتوجيه الذي يسمعه.

وقد قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من نصب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره».[٢١٣]

مثال: إذا دعا المربي ولده إلى الصدق، لم يطلب منه الكذب للاعتذار عن زيارة أو اتصال. وإذا أخطأ أمامه، اعترف وصحح خطأه.

٢. التحصين العقائدي والفكري

غرس العقائد الصحيحة في ذهن الطفل منذ صغره يعينه على فهم دينه والتعامل مع ما يسمعه من أفكار وشبهات. ويبدأ ذلك بتعليمه حب الله ورسوله وأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وربطه بالقرآن، وتمكينه من التمييز بين الخير والشر، والحلال والحرام.

ولا يقتصر التحصين على تلقين الإجابات؛ بل يشمل حسن استقبال

أسئلته، وشرح ما يناسب فهمه، وتعليمه الرجوع إلى المصدر الموثوق.

٣. التثقيف المسبق

ويعني تزويد الطفل بالمعلومات والتوجيهات قبل أن يقع في الموقف الذي قد يخطئ فيه، ليكون على وعي مسبق بالسلوك الصحيح. فمثلًا، الحديث عن أهمية الصدق يقدم قبل أن يبتلى بالكذب، والتوعية بحفظ أموال الآخرين قبل أن يمر بتجربة فيها مال ليس له.

مثال: قبل زيارة قريب، نوضح له آداب الاستئذان واستعمال أغراض الآخرين، بدل انتظار المخالفة ثم لومه على أمر لم نبينه.

٤. التذكير الرفيق عند الحاجة

قد ينسى الولد ما تعلمه، خاصة عند انشغاله أو اندماجه في نشاط. لذلك من المهم تذكيره بالتوجيهات بين الحين والآخر، دون إلحاح مستمر يحول كل لقاء إلى موعظة.

ويكون التذكير قصيرًا وواضحًا، مثل: «تذكر أن تعيد الأداة إلى مكانها بعد الانتهاء». ويمكن أن يكون مباشرًا أو غير مباشر بحسب الموقف، دون نسبة مثل شعبي أو طريقة معينة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بغير دليل.

٥. التنبيه البصري غير اللفظي

قد تغني نظرة جادة أو إشارة هادئة عن كثير من الكلمات. في بعض المواقف يكفي أن يوجه المربي إشارة يفهمها الولد عند رؤية سلوك خاطئ؛ فينتبه دون حاجة إلى مقاطعته أو إحراجه أمام الآخرين.

مثال: يتفق المربي معه مسبقًا على إشارة لطيفة تذكره بانتظار دوره في الحديث. وتُترك الإشارة إذا كانت تخيفه أو يفسرها على غير المقصود.

٦. التحذير الوقائي من العواقب

قبل أن يقع الطفل في الخطأ، من المهم أن ينبه إلى العواقب التي قد تترتب على سلوك معين، بلغة هادئة وعقلانية.

مثلًا: «الكذب يضعف ثقة الناس بما نقوله»، أو: «إذا دفعت زميلك فقد تؤذيه، فاطلب دورك بالكلام».

هذا النوع من التحذير يعينه على التفكير، ويربط الفعل بنتيجته، دون مبالغة أو تهديد بعواقب غير حقيقية.

٧. البيئة التربوية الآمنة

تؤثر البيئة في تعلم الولد وعاداته؛ ولذلك نحرص على وسط يجد فيه المحبة والاحترام والتوجيه، وتقل فيه فرص التعرض للأذى والمؤثرات الضارة.

وتوفير البيئة الآمنة يشمل مساعدته على اختيار أصدقاء صالحين، ومتابعة المحتوى الذي يتعرض له، وإشباع حاجاته العاطفية داخل البيت.

ولا تعني المتابعة منعه من كل تجربة أو ضمان عدم الخطأ؛ بل تعليمه وحمايته بما يناسب عمره، مع إتاحة السؤال وطلب المساعدة.

٨. التوجيه غير المباشر

أحيانًا يكون التوجيه غير المباشر أكثر تأثيرًا من النصح المباشر، خاصة مع من يتحرج من المواجهة المباشرة. مثلًا: سرد قصة تبين أثر الكذب في الثقة، أو الحديث عن حالة مشابهة لما يمر به الولد دون الإشارة إليه بالاسم.

ويختلف هذا عن التذكير السابق؛ فالتذكير يعيد أمرًا يعرفه، أما القصة أو الموقف فيساعدانه على تأمل المعنى ونتائجه. ولا تتحول القصة إلى تعريض جارح يفهم الجميع أنه المقصود به.

٩. الوقاية بالحب والاحتواء

حين يشعر الطفل بأنه محبوب ومقبول، قد يكون أكثر استعدادًا للمصارحة وتقبل التوجيه. أما إذا افتقد الاهتمام، فقد يعاند ليجذب الانتباه، وهذا احتمال يُنظر فيه، وليس تفسيرًا لكل مخالفة.

الاحتواء لا يعني التساهل، بل يقصد به أن يشعر الطفل بأنك تحبه حتى حين يخطئ، وأنك تساعده على إصلاح خطئه دون أن ترفضه أو تتخلى عنه.

مثال: «أنا أحبك، لكن إيذاء أخيك مرفوض. سنعرف ما حدث، ونتعلم كيف تطلب حقك دون ضرب».

١٠. الربط بين الفعل والنتيجة

من المهم أن يدرك الطفل أن لتصرفاته آثارًا يستطيع ملاحظتها. فالدراسة تزيد فرص الفهم والنجاح، وحفظ الأدوات يقلل ضياعها، والالتزام بالموعد يساعد الآخرين على تنظيم وقتهم.

ولا نقدم النتائج على أنها مضمونة دائمًا؛ فقد يجتهد ولا ينال النتيجة التي أرادها، فنساعده على مراجعة تجربته دون اتهامه بالتقصير لمجرد عدم النجاح.

هذه العلاقة بين السبب والنتيجة تنمي شعوره بالمسؤولية، وتعلمه النظر في أثر اختياره.

١١. تعويده على التفكير قبل التصرف

التسرع سبب في كثير من الأخطاء؛ لذا من المفيد تدريب الطفل على التوقف قبل التصرف الذي يحتمل أن يؤذيه أو يؤذي غيره، وسؤال نفسه: هل هذا العمل يرضي الله؟ هل هو مناسب؟ ما نتيجته؟

هذا التمهل يعلمه التروي وضبط ردود الفعل. ونستعين في ذلك

بمواقف بسيطة وتمثيل عملي؛ كأن يتدرب على طلب المساعدة بدل الاندفاع إلى الشجار.

وننصح بتعليمه وتدريبه على مهارة اتخاذ القرار في مرحلة الطفولة المتأخرة، ضمن الجزء المخصص لها من السلسلة.

١٢. تنمية الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس

الهدف الأعلى من التربية الوقائية هو أن يصل الطفل إلى مرحلة يراقب فيها نفسه، ويحرص على الصواب في غياب المربي، مستحضرًا أن الله يراه، ومدركًا حقوق الآخرين وآثار أفعاله.

ويُبنى هذا الوعي بالتوجيه المستمر، وبيان أثر الأفعال في الدنيا والآخرة، وتكريم الطفل عندما يبدي سلوكًا حسنًا من تلقاء نفسه.

ويمكن تعويده مراجعة قصيرة ليومه: ما الذي أحسنت فيه؟ هل أخطأت في حق أحد؟ كيف تصلح الخطأ؟ وما الذي تحتاج إلى مساعدة فيه؟ فتقترن المحاسبة بالعمل والرجاء، ولا تتحول إلى لوم دائم أو خوف من الاعتراف.

تساؤلات تربوية

شكت إحدى الأمهات إلى مستشارة متخصصة في التربية وعلم النفس، فقالت لها:

«ابني في الثانية عشرة من عمره، وأعاني من تهاونه في الصلاة وسوء معاملته لي؛ فلا يصلي إلا بعد إلحاح، وقد يعدني بأدائها ثم ينشغل بالهاتف أو اللعب وينسى وعده. وحين أذكره، يتذمر ويرفع صوته، وأحيانًا يجيبني بكلمات جارحة، حتى أصبحت أشعر بأنه يعقني ولا يقدر تعبي من أجله.

حاولت أن أتحدث معه بهدوء، وأن أشجعه بالمكافآت، ثم حرمته من بعض الألعاب، لكنني لم ألاحظ تحسنًا مستمرًا. وكلما ظننت أنه استجاب، عاد إلى تصرفاته السابقة. وقد اشتد غضبي في بعض المواقف، فضربته ظنًا مني أن الضرب سيجعله ينتبه، لكنه أصبح أكثر نفورًا وعنادًا، وصار يخفي عني بعض أموره.

أشعر بالحيرة والذنب؛ فأنا أحبه وأخاف عليه، لكنني لم أعد أعرف كيف أتعامل معه. هل أخطأت في تربيته؟ وكيف أعالج تهاونه في الصلاة وإساءته إلي، وأستعيد ثقته وقربه مني، دون أن أترك سلوكه بلا معالجة أو أعود إلى ضربه كلما عجزت عن إقناعه؟».

للحصول على إجابات أوسع عن هذا السؤال وغيره من التساؤلات التربوية، يمكنكم الرجوع إلى الأجزاء التي تتناول موضوع المشكلة من سلسلة «لمسات تربوية»؛ ففي معالجة التهاون في الصلاة، يراجع الجزء الرابع، وفي اختيار الأصدقاء والتعامل مع الصحبة المؤذية، يراجع الجزء الثامن، وفي معالجة سوء استخدام التقنيات الرقمية والإنترنت والألعاب الإلكترونية، يراجع الجزء التاسع. وهكذا يستفاد في كل مشكلة من

القيم والتوجيهات والتطبيقات التربوية المطروحة في الجزء المختص بها.

كما يمكنكم التواصل مع مستشاري قسم التوجيه والإرشاد الأسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة في العراق، لعرض مشكلتكم والحصول على المشورة المناسبة، عبر الأرقام الآتية:

٠٠٩٦٤٧٧٦٣٦٩٥٠٧٠-٠٠٩٦٤٧٧٦٣٦٩٥٠٨٠-
٠٠٩٦٤٧٨٠٠٢٦٢٤١٣-٠٠٩٦٤٧٧٢٣٣١٥٤٢١

رقم هاتف المستشارة التربوية مياسة شبع: ٠٠٤٦٧٣٧٣٤٦١٧٠

الملحق الإلكتروني للكتاب

يمكنكم قراءة هذا الكتاب وبقية أجزاء سلسلة «لمسات تربوية» وتحميلها إلكترونيًا، بأن تكتبوا في محرك البحث، مثل جوجل، عبارة: «كتاب لمسات تربوية»، مع رقم الجزء واسم المؤلف، أو بمسح رمز الاستجابة السريعة (QR code) الموجود أسفل هذه الصفحة، للانتقال إلى الصفحة الخاصة بأجزاء السلسلة المتعلقة بمرحلة الطفولة المتأخرة.

SCAN ME

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في التعرف إلى خصائص مرحلة الطفولة المتأخرة ومتطلبات تربيتها، يتضح لنا أن حسن تربية الأبناء لا يقوم على المحبة وحدها، ولا على كثرة الأوامر والنواهي، وإنما يحتاج إلى علم وفهم وصبر وحكمة، وإلى معرفة طبيعة المرحلة التي يمر بها الناشئ، وما يناسبها من أساليب التعليم والتوجيه والتأديب.

وقد تناولنا في هذا الجزء أبرز الخصائص العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمية للناشئ في السنوات السبع الثانية من عمره، وما يصاحبها من تغيرات في فهمه ومشاعره وعلاقاته وقدراته. كما بينا أهمية التمييز والتهيئة للبلوغ والتكليف الشرعي، وضرورة مراعاة الفروق الفردية بين الأبناء، فلا نطالبهم بما يفوق قدراتهم، ولا نفسر كل خطأ يصدر منهم بأنه تعمد للمخالفة أو رفض للتوجيه.

وتوقفنا عند موضوع التأديب، فبينا معناه وأهميته، ووسائل معالجة السلوك الخاطئ، والضوابط الشرعية والتربوية التي ينبغي مراعاتها عند استعمال العقوبة، مع التأكيد على حفظ كرامة الناشئ وحقوقه، وأن الغاية من التأديب هي الإصلاح لا الانتقام، وتعليمه اختيار الصواب لا مجرد الخوف من العقاب.

ومن أهم ما ينبغي أن يخرج به المربي من هذا الجزء أن التربية مسؤولية مستمرة، لا تقتصر على معالجة الأخطاء بعد وقوعها، بل تبدأ قبل ذلك بغرس الإيمان والقيم، وتقديم القدوة الحسنة، وتعليم المهارات النافعة، وبناء علاقة تقوم على المحبة والثقة والاحترام، وتنمية الرقابة الذاتية؛ حتى يتعلم الناشئ مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

ويمثل هذا الكتاب الجزء الأول من الأجزاء المخصصة لمرحلة الطفولة المتأخرة في سلسلة «لمسات تربوية»، وقد جاء ليضع بين يدي المربي الأسس التي تعينه على فهم هذه المرحلة وحسن التعامل معها، تمهيدًا للأجزاء اللاحقة التي ستتناول موضوعات التربية المختلفة بمزيد من التفصيل والتطبيق، في المجالات العقائدية والعبادية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، مع بيان المهارات الحياتية المناسبة لهذه المرحلة، والاستعانة بالأمثلة والأنشطة والتمارين العملية.

ونأمل أن تكون هذه السلسلة عونًا للوالدين والمعلمين وسائر المربين على تحويل المعارف التربوية إلى ممارسات يومية، وأن تسهم في إعداد جيل مؤمن واع، يتحلى بحسن الخلق، ويتحمل مسؤولياته، ويحسن التعامل مع نفسه وأسرته ومجتمعه.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعًا لأداء هذه الأمانة، وأن يجعل أبناءنا من الصالحين، وأن يتقبل هذا العمل وينفع به، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) تربية الطفل في الإسلام-مركز الرسالة-ص٥-بتصرف.
(٢) الكافي-الكليني-ج٦-ص٣.
(٣) آل عمران/ ٣٨.
(٤) مستدرك الوسائل-الميرزا النوري-ج١٥-ص٢١٥-ح١٨٠٣٩.
(٥) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق-ج٢-ص٦٢٢.
(٦) جامع الأخبار-الشيخ الصدوق-ص٣٢٧-ح٩١٩.
(٧) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدروس الخامس إلى الثاني عشر-بتصرف.
(٨) الذاريات/ ٥٦.
(٩) التحريم/ ٦.
(١٠) من لا يحضره الفقيه-الشيخ الصدوق-ج٣-ص٤٩٢-ح٤٧٤٣.
(١١) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٢٣-ح١٥.
(١٢) م.ن-ج١-ص٣٦.
(١٣) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدرس الثالث عشر-بتصرف.
(١٤) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٤٤-ح٢.
(١٥) بحار الأنوار-العلامة المجلسي-ج١-ص٢٢٤-ح١٣.
(١٦) الكافي-الشيخ الكليني-ج٦-ص٤٧.
(١٧) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٢٩-١٣٥-بتصرف.
(١٨) نهج البلاغة-الشريف الرضي-الحكمة ٩٨.
(١٩) الأعراف/ ٨٥.
(٢٠) التعلّم القائم على الاسترجاع: الآثار الإيجابية لممارسة الاسترجاع لدى أطفال المرحلة الابتدائية ـ جيفري كاربيكي، وجانيل بلانت، وميغان سميث ـ مجلة «Frontiers in Psychology» ـ ٢٠١٦م ـ المجلد ٧ ـ المقالة ٣٥٠ -ص١-٨.
(٢١) التربية الإسلامية للطفل-مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٢٩-١٣٠-بتصرف.
(٢٢) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٢٦-ح٢٧.
(٢٣) منية المريد-الشهيد الثاني-زين الدين بن علي العاملي-ص٣٤٠.

(٢٤) عيون الحكم والمواعظ-الواسطي-ص٤٤٧.
(٢٥) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٣٢-١٣٣-بتصرف.
(٢٦) الغاشية/ ١٧-٢٠.
(٢٧) عيون الحكم والمواعظ-الواسطي-ص٤٤٧.
(٢٨) عبس/ ٢٤.
(٢٩) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٥٠-ح٨.
(٣٠) الكافي-الشيخ الكليني-ج١-ص٥٠-ح١٢.
(٣١) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٣٣-١٣٥-بتصرف.
(٣٢) نهج البلاغة-الشريف الرضي-الكتاب ٣١.
(٣٣) المائدة/ ٨.
(٣٤) دعم الاستقلال والتحكم النفسي في التربية الوالدية: تحليل تجميعي عبر الثقافات ـ إيما برادشو وآخرون ـ مجلة «American Psychologist» ـ ٢٠٢٥م ـ ج٨٠ ـ ع٦ ـ ص٨٧٩-٨٩٥.
(٣٥) غرر الحكم ودرر الكلم-عبد الواحد الآمدي-ح١٠٤١٢.
(٣٦) مكارم الأخلاق-الطبرسي-ص٢٢٢.
(٣٧) تحف العقول عن آل الرسول-ابن شعبة الحراني-ص٤٨٩.
(٣٨) تهذيب الأحكام-الطوسي-ج٨-ص١١٣-ح٣٩٠
(٣٩) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدرس الرابع عشر: التربية بالحب-ولا سيما ص١٦٧-١٧١-بتصرف.
(٤٠) الكافي-الكليني-ج٢ -ص١٢٠-ح١٦.
(٤١) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-قسم الكتب-الكتاب٣١.
(٤٢) الكافي-الكليني-ج٢-ص٧٨-ح١٤.
(٤٣) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-قسم الكتب-الكتاب٣١-مقتطف من الوصية.
(٤٤) الكافي-الكليني-ج٦-ص٥٠-ح٥.
(٤٥) الكافي-الكليني-ج٦ -ص٤٩-ح١-مقتطف من الحديث. التربية الإسلامية للطفل، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الدرس الرابع عشر: التربية بالحب، ولا سيما ص١٦٧-١٧١، بتصرف.
(٤٦) التربية الإسلامية للطفل، إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق، الدرس الرابع عشر: التربية بالحب، ولا سيما ص١٦٧-١٧١، بتصرف.
(٤٧) الكافي-الكليني -ج٦-ص٤٩-ح٣.

(٤٨) التعلق بين الوالدين والطفل وخبرة الأطفال بالمشاعر وتنظيمها: مراجعة تحليلية تجميعية ـ جيسيكا كوك وآخرون ـ مجلة «Emotion» ـ ٢٠١٩م ـ ج١٩ ـ ع٦ ـ ص١١٠٣–١١٢٦.

(٤٩) مكارم الأخلاق–الحسن بن الفضل الطبرسي–ص٢٢٠.

(٥٠) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–الدرس الثامن: العدالة التربوية–ولا سيما مبحث الفرق بين العدالة والمساواة–ص١٠٠–١٠١–بتصرف.

(٥١) م.ن–الدرس العشرون: التربية باللعب عند الأطفال، بتصرف.

(٥٢) الكافي–الكليني –ج٦ –ص٤٩–٥٠–ح٤.

(٥٣) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–ص١٦٥: الحزم في لين والتمييز بينه وبين القسوة–بتصرف.

(٥٤) الكافي–الكليني–ج٢–ص١١٠–ح٦.

(٥٥) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–ص١٥٣–١٥٧: التربية بالنموذج وأثرها والبدء بتربية النفس–بتصرف.

(٥٦) الكافي–الكليني–ج٢ –ص١١٠–ح٥–مقتطف من الحديث.

(٥٧) نهج البلاغة–جمع الشريف الرضي –قسم الكتب–الكتاب٣١–مقتطف من الوصية.

(٥٨) التأثيرات التفاعلية للدعم الوالدي والتحكم النفسي في تنظيم مشاعر الأطفال ـ ريكر وآخرون ـ مجلة «Journal of Family Psychology» ـ ٢٠٢٤م ـ ج٣٨ ـ ع٦ ـ ص٩٥٦–٩٦٥.

(٥٩) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–الدرس السابع عشر: التربية الاجتماعية–بتصرف.

(٦٠) الكافي–الكليني–ج٢–ص٦٣٥–ح٢.

(٦١) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–الدرس السابع عشر: التربية الاجتماعية–بتصرف.

(٦٢) المائدة/ ٢.

(٦٣) الكافي–الكليني–ج٢–ص١٦٦–ح٥.

(٦٤) الكافي–الكليني–ج٢–ص١٠٣–باب حسن البشر–ح٤.

(٦٥) التربية الإسلامية للطفل–إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق–الدرس السابع عشر: التربية الاجتماعية، مباحث اختيار الأصدقاء وآداب الصداقة–بتصرف.

(٦٦) الكافي–الكليني–ج٢ –ص٦٤٠–ح٣.

(٦٧) الفروق العمرية في التأثر الاجتماعي بالسلوك المساعد–لوسي فولكس وآخرون–مجلة «Developmental Science» ـ ٢٠١٨م ـ ج٢١ ـ ع٦–المقالة e١٢٦٦٦.

(٦٨) الكافي–الكليني–ج٢ –ص٦٣٩–ح٦–مقتطفات من الحديث.

(٦٩) الكافي-الكليني-ج٢-ص١٧٠-ح٥-مقتطف من الحديث.
(٧٠) التربية الإسلامية للطفل-ص١٥٣-١٥٧: التربية بالنموذج-بتصرف.
(٧١) الكافي-الكليني-ج٢-ص٧٨-ح١٤.
(٧٢) نهج البلاغة-جمع الشريف الرضي-قسم الحكم-الحكمة٧٣-مقتطف منها.
(٧٣) التربية الإسلامية للطفل-مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٥٣-١٥٧، الدرس الثالث عشر: التربية بالقدوة-بتصرف.
(٧٤) الأحزاب/ ٢١.
(٧٥) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج١٢-ص٦٣-ح١٥٦٥٢.
(٧٦) الكافي-الكليني-ج٢ -ص١٠٥-ح١٢.
(٧٧) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص٢١٩-٢٢١: التربية على الصداقة والاختيار والمتابعة، بتصرف.
(٧٨) المتابعة الوالدية: إعادة تفسير ـ ستاتين وكير ـ مجلة «Child Development» ـ ٢٠٠٠م ـ ج٧١ ـ ع٤ ـ ص١٠٧٢-١٠٨٥
(٧٩) التربية الإسلامية للطفل-ص١٥٦-١٥٧: الانضباط الذاتي والانضباط الخارجي-بتصرف.
(٨٠) الكافي-الكليني ـ ج٦ -ص٥٠-ح٦-مقتطف من الحديث.
(٨١) العلق/ ١٤.
(٨٢) نمو الأطفال في سن المدرسة ـ المكتبة الوطنية الأمريكية للطب ـ موسوعة «Medline-Plus» الطبية ـ قسم النمو الجسمي.
(٨٣) الكافي-الكليني-ج٦ -ص٥٠-ح٦.
(٨٤) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدرس العشرون: التربية باللعب عند الأطفال-فقرة الآثار الجسمية والحركية، بتصرف.
(٨٥) مكارم الأخلاق-الطبرسي-ص٢٢٢.
(٨٦) الصحيفة السجادية-الدعاء الخامس والعشرون: دعاؤه عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده.
(٨٧) التربية الإسلامية للطفل-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدرس العشرون: التربية باللعب عند الأطفال-فقرة الآثار الجسمية والحركية، بتصرف.
(٨٨) مكارم الأخلاق-الطبرسي-ص٢٢٠.
(٨٩) التربية الإسلامية للطفل-الدرس العشرون: التربية باللعب عند الأطفال-مباحث استمرار الحاجة إلى اللعب وتهيئة بيئته، بتصرف.
(٩٠) التربية الإسلامية للطفل-الدرس العشرون: التربية باللعب عند الأطفال-مباحث استمرار الحاجة إلى اللعب وتهيئة بيئته، بتصرف.
(٩١) الكافي-الكليني ـ ج٦ -ص٥١-٥٢-باب التفرس في الغلام وما يستدل به على

نجابته-ح٢.

(٩٢) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول-المجلسي-ج٢١-ص٨٩.

(٩٣) Pretend and Physical Play: Links to Preschoolers' Affective Social Competence ـ Eric W. Lindsey وMalinda J. Colwell ـ مجلة Merrill-Palmer Quarterly ـ ٢٠١٣ ـ ج٥٩، ع٣، المقالة ٤

(٩٤) الكافي-الكليني-ج٦-ص٤٧-باب تأديب الولد-ح٤.

(٩٥) Physical Activity Interventions to Alleviate Depressive Symptoms in Children and Adolescents: A Systematic Review and Meta-analysis ،JAMA Pediatrics٢٠٢٣ ،.

(٩٦) مصباح المتهجد-الطوسي-ص٨٥٧-دعاء كميل.

(٩٧) الأمالي-الصدوق-ص٥٢٦-المجلس الثامن والستون-ح٧١٠/ ١.

(٩٨) «حول النوم» (About Sleep) ـ مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها، الولايات المتحدة الأمريكية (CDC) ـ ١٥ أيار ٢٠٢٤، فقرة «الحصول على نوم كافٍ»: ساعات النوم اليومية الموصى بها بحسب العمر.

(٩٩) الأعراف/ ٣١.

(١٠٠) الكافي-الكليني-ج٦ -ص٢٩٠-باب الوضوء قبل الطعام وبعده-ح١.

(١٠١) التربية الإسلامية للطفل-مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص٩١-٩٣-عرض معايير التمييز، بتصرف.

(١٠٢) تذكرة الفقهاء-الحسن بن يوسف الحلي-ج٤-ص٣٣٥-المسألة٥٩٩.

(١٠٣) الاستفتاءات-موقع مكتب السيد علي الحسيني السيستاني-«البلوغ في الذكر والأنثى»، السؤال٤.

(١٠٤) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية ـ السيد علي الحسيني السيستاني ـ ج١، طبعة١٤٠٣هـ ش ـ المسألة٤، عنوان «المميز وسن التمييز في المسائل الشرعية».

(١٠٥) التوضيح الشامل للمسائل الشرعية-السيد علي الحسيني السيستاني-ج١-المسألة٤، المثال المتعلق بالصلاة.

(١٠٦) الاستفتاءات-موقع مكتب السيد علي الحسيني السيستاني-«البلوغ في الذكر والأنثى»، السؤال٤-المثال المتعلق بالبيع.

(١٠٧) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية ـ السيد علي الحسيني السيستاني ـ ج١-مبحث «تهيئة الأطفال للصلاة قبل البلوغ»، قبل المسألة٩٤٩، نقلًا بالمعنى إلى العربية. منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٢-كتاب التجارة-المسألة٦٢.

(١٠٨) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٢-كتاب التجارة-المسألة٦٢.

(١٠٩) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية-السيد علي الحسيني

السيستاني ـ ج٣-المسائل١٢٩-١٣٢، نقلًا بالمعنى إلى العربية.

(١١٠) لمسائل المنتخبة-السيد علي الحسيني السيستاني-المسألة٣٦-أحكام التخلي: ستر العورة عن الناظر المحترم، أي الشخص المميز. ومنهاج الصالحين ـ السيد علي الحسيني السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسألة١٢.

(١١١) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٣-كتاب النكاح-المسألة٢٤.

(١١٢) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٤-المسألة٣٣، نقلًا بالمعنى إلى العربية.

(١١٣) موسوعة الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام-مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي-ج٢١-ص١٧٧-١٨٠-مبحث البلوغ، بتصرف.

(١١٤) النساء/ ٦.

(١١٥) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج٢-كتاب الحجر-مبحث السفه، المسألة١٠٨٤.

(١١٦) الاستفتاءات-موقع مكتب السيد علي الحسيني السيستاني-«البلوغ في الذكر والأنثى»، السؤالان١ و٥.

(١١٧) الخصال-الصدوق-ج٢ -ص٤٢١-ح١٧.

(١١٨) الاستفتاءات-موقع مكتب السيد علي الحسيني السيستاني-«البلوغ في الذكر والأنثى»، السؤالان١ و٣.

(١١٩) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية-السيد علي الحسيني السيستاني ـ ج١-المسألتان١ و٢-مبحث علامات البلوغ، نقلًا بالمعنى إلى العربية.

(١٢٠) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية-السيد علي الحسيني السيستاني ـ ج١-المسألة١ مبحث علامات البلوغ، نقلًا بالمعنى إلى العربية.

(١٢١) الذاريات/ ٥٦.

(١٢٢) البقرة/ ٢٨٦.

(١٢٣) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج١-المسألة١٠٥٠-والفدية مد من الطعام-نحو ثلاثة أرباع الكيلوغرام، للفقير عن كل يوم.

(١٢٤) الاستفتاءات-موقع مكتب السيد علي الحسيني السيستاني-«الصوم والضعف»، السؤال٢.

(١٢٥) الزلزلة/ ٦.

(١٢٦) مستدرك الوسائل-الطبرسي -ج١٥ -ص١٦٠-ح١٧٨٥٧.

(١٢٧) «التوضيح الشامل للمسائل الشرعية»، باللغة الفارسية ـ السيد علي الحسيني السيستاني ـ ج١، طبعة١٤٠٣هـ ش ـ مبحث «تهيئة الأطفال للصلاة قبل البلوغ»، قبل المسألة٩٤٩، نقلًا بالمعنى إلى العربية.

(١٢٨) النور/ ٥٩.
(١٢٩) ق/ ١٨.
(١٣٠) الكافي-الكليني-ج٢-ص٩١-باب الصبر-ح١٥.
(١٣١) البقرة/ ٢٢٢.
(١٣٢) من لا يحضره الفقيه-الصدوق-ج٢-ص٦٢٢.
(١٣٣) منهاج الصالحين-السيد علي الحسيني السيستاني-ج١-المسألة١٠٥٠؛ والاستفتاءات، «الصوم والضعف»، السؤال٢. أحكام القضاء ـ الصوم والضعف.
(١٣٤) مسند أحمد بن حنبل-المسند-ج٣-ص٩٧.
(١٣٥) مكارم الأخلاق-الطبرسي-ص٢٢٢.
(١٣٦) مستدرك الوسائل-النوري-ج١٥-ص١٦٥.
(١٣٧) الكافي-الكليني-ج٨-ص١٥٠-ح١٣٢.
(١٣٨) الصدوق-من لا يحضره الفقيه-ج٣-ص٣١٨.
(١٣٩) نهج البلاغة-الكتاب ٣١-من وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام.
(١٤٠) مكارم الأخلاق-الطبرسي-ص٢٢٢.
(١٤١) لسان العرب-محمد بن مكرم ابن منظور -ج١ -ص٢٠٦، مادة «أدب».
(١٤٢) معجم ألفاظ الفقه الجعفري-أحمد فتح الله -ص٩٤-مادة «التأديب».
(١٤٣) موسوعة الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام-مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي طبقًا لمذهب أهل البيت عليهم السلام-ج٢٤ ـ ص٢٢-مادة «تأديب»، التعريف والألفاظ ذات الصلة، بتصرف.
(١٤٤) من لا يحضره الفقيه-الصدوق-ج٢-ص٦٢٢-من رسالة الحقوق.
(١٤٥) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٧١-الدرس الحادي عشر: التربية بالعقوبة (١)، مفاهيم وآراء.
(١٤٦) م.ن.
(١٤٧) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-ص١٧١-١٧٢: تعريف العقوبة-والعقاب الإيجابي والسلبي، بتصرف.
(١٤٨) موقع مكتب السيد السيستاني-استفتاءات «الضرب»-السؤالان ٨ و٩.
(١٤٩) الحجرات/ ٦.
(١٥٠) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-إعداد مركز المعارف للتأليف والتحقيق-الدرس الثاني عشر: التربية بالعقوبة-ص١٨٨-١٩٣، بتصرف.
(١٥١) تربية الطفل: الرؤية الإسلامية للأصول والأساليب-ص١٩١.
(١٥٢) نهج البلاغة-الحكمة ٨٢.
(١٥٣) ايقاظ الهمم فى شرح الحكم-ابن عجيبة-ج١-ص١٧٠.

(١٥٤) المسائل المنتخبة -السيد علي السيستاني-ج١-ص ٢٧١-مسألة ٦٣١.
(١٥٥) وسائل الشيعة -الحر العاملي -ج ١٦ -ص ١٤٣.
(١٥٦) صحيح مسلم-كتاب الْفَضَائِلِ بَابُ كَثْرَةِ حَيَائِهِ ص -حديث رقم ٤٤٠٨.
(١٥٧) لئالي الأخبار-محمد نبي بن أحمد التويسركاني-ج٤-ص٥١.
(١٥٨) عدّة الداعي ونجاح الساعي-ابن فهد الحلي-ص٨٧.
(١٥٩) النساء/ ٣٤.
(١٦٠) لئالي الأخبار-محمد نبي بن أحمد التويسركاني-ج٤-ص٥١.
(١٦١) الصف/ ٢-٣.
(١٦٢) البقرة/ ٤٤.
(١٦٣) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ٣ -ص ٢٢١٣.
(١٦٤) غرر الحكم: ١٠٥٢٩، ١٠٤١٢.
(١٦٥) البقرة/ ١٦٠.
(١٦٦) موقع السيد السيستاني، استفتاءات «السرقة»، السؤال الخامس: ضمان الصبي ما يتلفه من مال غيره، وأداء التعويض من ماله بواسطة الولي عند وجود المال. sistani.org
(١٦٧) تصميم دعم السلوك الإيجابي وتطبيقه ـ مركز داكوتا الشمالية للأشخاص ذوي الإعاقة ـ الوحدة ٥٢ ـ الجزء الثاني ـ تعريف «تكلفة الاستجابة».
(١٦٨) موقع السيد السيستاني-منهاج الصالحين-الجزء الثالث-مسائل ولاية التصرف في مال الصغير، المسألة ٨٥: اشتراط عدم المفسدة في تصرف الأب والجد في مال الصغير.
(١٦٩) المائدة/ ٨٩.
(١٧٠) قناة الكوثر الفضائية/ alkawthartv.ir/ أسطورة التربية «بالعصا لمن عصى»! -الدكتور محمد عليق-بتصرف.
(١٧١) القصص/ ٢٦.
(١٧٢) البقرة/ ١٢٤.
(١٧٣) الميزان في تفسير القرآن-الطباطبائي-تفسير سورة البقرة -الآية ١٢٤-في بيان دلالة الآية على عصمة الإمام. سورة البقرة، آية ١٢٤.
(١٧٤) الوجيز في أحكام العبادات-السيد السيستاني-أحكام الصوم-المسألة ١٣١: عدم صحة صوم التطوع ممن عليه قضاء شهر رمضان.
(١٧٥) النور/ ١٩
(١٧٦) الحجرات/ ١٢.
(١٧٧) بحار الأنوار-المجلسي-ج٧٠-ص٧٣-ح٢٦.
(١٧٨) ميزان الحكمة-محمد الريشهري-ج٧-ص٢٠٤٧.
(١٧٩) المسائل المنتخبة-السيد السيستاني-المسألة ٥١٠-في موجب كفارة الإفطار العمدي

وخصالها.

(١٨٠) صحيح مسلم-مسلم بن الحجاج النيسابوري-ج٣ -ص١٣٢٣-١٣٢٤، كتاب الحدود-باب من اعترف على نفسه بالزنى-ح١٦٩٥.

(١٨١) جامعة فاندربيلت، «بطاقة إرشادية: الاتفاق السلوكي» (Tip Sheet: Behavior Contract).

(١٨٢) البقرة/ ٢٨٢.

(١٨٣) المائدة/ ١.

(١٨٤) السيد السيستاني، منهاج الصالحين، ج٣، الفصل الثالث في العهود، المسألة ٧٤١، في اشتراط الصيغة لانعقاد العهد الشرعي.

(١٨٥) ميزان الحكمة -محمد الريشهري -ج ١ -ص ٥٨.

(١٨٦) نهج البلاغة-قسم الرسائل-الكتاب ٥٣.

(١٨٧) فهم الأطفال: التنافس بين الإخوة (Understanding Children: Sibling Rivalry) ـ جامعة ولاية كانساس (Kansas State University).

(١٨٨) يوسف/ ٨.

(١٨٩) الميزان في تفسير القرآن-الطباطبائي-تفسير سورة يوسف-الآيات ٧-٢١.

(١٩٠) الإسراء/ ١٥.

(١٩١) الزمر/ ٧١.

(١٩٢) غرر الحكم ودرر الكلم-الآمدي-ح٦٣٢٨.

(١٩٣) موقع الزكية/ alzakiya.com/ «الضرب والعقاب الجسدي للأطفال»، ٢٥/ ٣/ ٢٠١٩، نقلًا عن موقع «أولادنا نحو الكمال».

(١٩٤) البقرة/ ٢٢٢.

(١٩٥) موقع السيد السيستاني-استفتاءات «الضرب»-السؤالان ٨ و٩.

(١٩٦) الكافي-الكليني-ج٧-ص٢٦٨-ح٣٥.

(١٩٧) وسائل الشيعة-الحر العاملي-ج٤-ص٢٠-ح٤٤٠٣.

(١٩٨) السنن-أبو داود-كتاب الصلاة-باب متى يؤمر الغلام بالصلاة-ح٤٩٥.

(١٩٩) الكافي-الكليني-ج٧-ص٢٦٧-ح٣٤.

(٢٠٠) موقع السيد السيستاني-استفتاءات «الضرب»، السؤال ٨: حكم ضرب البالغ.

(٢٠١) موقع السيد السيستاني-الفقه للمغتربين-فصل «العلاقات الاجتماعية» -المسألة ٣٠٠: اشتراط الولاية أو الإذن منها.

(٢٠٢) موقع السيد السيستاني-الفقه للمغتربين-فصل «العلاقات الاجتماعية» -المسألة ٣٠٠: مورد التأديب واشتراط توقفه على الضرب.

(٢٠٣) موقع السيد السيستاني-استفتاءات «الضرب»-السؤال ٩: خفة الضرب وحدّه وعدم

إحداث الاحمرار.

(٢٠٤) م.ن-السؤال ١٠: ثبوت الدية على الأب وغيره.

(٢٠٥) م.ن-السؤال ١١: عدم اشتراط استمرار الاحمرار أو الاسوداد مدة طويلة.

(٢٠٦) م.ن-السؤال ٧: مقادير دية تغير اللون في الوجه والبدن.

(٢٠٧) م.ن-السؤال ٧، في بيان الوزن التقريبي للدينار.

(٢٠٨) م.ن-السؤال ٧، في التراضي وطلب براءة الذمة بعد البلوغ والرشد.

(٢٠٩) م.ن-السؤال ٤: ضرب البنت على عينها واحتساب المصروف من الدية.

(٢١٠) أنيا هايلمان وآخرون، «العقوبة البدنية ونتائجها لدى الأطفال: مراجعة سردية للدراسات الاستباقية»، مجلة لانسيت الطبية، ٢٠٢١، المجلد ٣٩٨، العدد ١٠٢٩٧، ص٣٥٥-٣٦٤

(٢١١) نهج البلاغة-الحكمة ٨٢.

(٢١٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر-ورام بن أبي فراس-ج٢-ضمن المواعظ النبوية، في الفقرة المبدوءة بـ«والذي بعثني بالحق نبيًا...».

(٢١٣) نهج البلاغة-الحكمة ٧٣.


الحمد لله

